الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة –

كلية الآداب و اللغات

قسم : لغة و أدب عربي

عنوان المذكرة

السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر – سيرة المنتهى

عشتها كما اشتهتني- لواسيني الأعرج أنموذجا

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الآداب و اللغات

تخصص: أدب حديث و معاصر

إعداد الطالبة:

- بوغقال وردة

إشراف الأستاذة:

* لعور سهيلة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
بوعود هند	أستاذة محاضر - ب-	جامعة عباس لغرور -خنشة-	رئيسا
لعور سهيلة	أستاذة مساعد - أ-	جامعة عباس لغرور -خنشة-	مشرفا
تومي هشام	أستاذ مساعد – ب-	جامعة عباس لغرور -خنشة-	مناقشا

السنة الجامعية 2016 - 2017

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم و الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين: ‹‹ و ذلك فضل يؤتيه من يشاء›› و نصلي و نسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، و على آله الأطهار و أصحابه الأبرار و الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

سوف أمنح كلمات ربما ستكون عاجزة، لشكل كل من ترك بصمة في حياتي إلى من أدين له بالفضل بعد ربي عز و جل، إلى اللذان كللهما الله بالهبة و الوقار و بالحنان و الأمان– أبي - – أمي.

إلى نجوم سمائي و قدوة في الحياة إلى أخواتي و إخواني.

إلى من واكب سنين العمر بإخلاص، و أعانني في كل خطوة في هذه الحياة إلى يزيد.

إلى رفيقة دربي و أحب الناس على قلبي صديقة صورية.

إلى من يحبهم قلبي و لم يذكرهم قلمي، أهدي عملى المتواضع.

بوعقال وردة

فهرس المحتويات

مقدمة.	.....	
الفصل الأول: ماهية السيرة و أشكالها الفنية	.....	**02**
ماهية السيرة الذاتية	.....	**02**
مفهوم السيرة لغة	.....	**02**
التحديد الإصطلاحي	.....	**03**
السيرة الذاتية و سؤال الأجناسية	.....	**06**
السيرة الذاتية و الاعترافات	.....	**06**
السيرة الذاتية و الرواية	.....	**07**
السيرة الغيرية	.....	**10**
السرية الذاتية و المذكرات		**12**
السيرة الذاتية و التاريخ	.....	**13**
أشكال التعبير الفني للسيرة الذاتية	.....	**16**
الفصل الثاني:	.....	**21**
أ- السيرة في الأدب الغربي	.....	**21**
ب- السيرة في الأدب العربي	.....	**24**
• عند العرب القدماء	.....	**27**
• عند العرب المحدثين	.....	**27**
ت- السيرة في الأدب الجزائري.	.....	**28**
الفصل الثالث: شق تطبيقي لرواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج	.....	**29**
أ- اللغة	.....	**29**
ب- الصنعة	.....	**30**
ت- التيمة	.....	**32**
مقومات السيرة في الرواية	.....	**34**

أ- الشخصيات	.....	**34**
ب- الاسترجاع	.....	**36**
ت- الاستباق	.....	**37**
ث- الزمان و المكان	.....	**39-40**
الخاتمة.	.....	**52**
ملحق:		
من واسني الأعرج		
ملخص الرواية.		
قائمة المصادر والمراجع.		

مقدمة عامة:

اهتمت الدراسات بالرواية، وأصبحت لها عناية خاصة بها، و لطالما ارتبطت الرواية بالسيرة،إذ أصبح لها علاقة متفردة،و في محاولة لتجسيد حياة الإنسان،و جعلها في شكل سطور مستمدة من التاريخ، و تمثل الكتابة الذاتية إحدى أبرز الإنتاجات الخطابية المتميزة؛ لتكريس ثقافة تواصلية فاعلة ومثمرة، بطريقة مبنية على المكاشفة و المصارحة، تضمنت أشكال مختلفة و أنواع متعددة، لكن تعد السير الذاتية أشهرها، إذ لاقت اهتماما أدبيا عند أدباءنا العرب المحدثين من الناحية الفنية، وليد تأثرهم بتلك السيرة التي قدمها الأدباء الغربيون، و كانت بداية السيرة الذاتية خجولة، إلى أن تم مزجها بالرواية ليجتمع الواقع و المتخيل في قالب فني جديد، سمي –برواية السيرة الذاتية- و قد تناولته الرواية الجزائرية بصفة خاصة، و الرواية العربية بصفة عامة، حيث كانت افتتاحية الولوج إلى العالم المتخيل السير الذاتي لكل كاتب، و أمام إشكالية التجنيس هذه،التي تفرض الهدم و الخرق لفعل إبداعي، لمحاولات أرادت أن تؤسس لنفسها، تجارب جديدة حول الكتابة الذاتية، و من هذا المنطلق جاء عنوان بحثي: السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر "سيرة المنتهى"لواسيني الأعرج، انموذجا.

حيث تلبس هذا البحث أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، ويتمثل ما هو ذاتي في معرفة حظ السيرة الذاتية في الأدب الجزائري، و كذلك ما تحققه السيرة الذاتية من تفاعل بين الأدب و الحياة انطلاقا من ارتباط الأنا بواقعها، الذي تنتمي إليه و تعبر عنه.

أما الموضوعية فموصولةبسعي للكشف،عما يميز السيرة الذاتية عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، و من هنا ينطلق البحث من إثارة إشكالية، حول فن السيرة في الأدب الجزائري المعاصر؟ و يهدف للإجابة عن التساؤلات التالية:

- ماهية السيرة الذاتية و السيرة و سؤال اللاإجناسية؟ و ما هي الأشكال التعبيرية لها؟
- و هل كانت بدايتها عند الغرب؟ أم عند العرب؟ وماحظها في الأدب الجزائري المعاصر؟
- و ما ملامح و مقومات السيرة في رواية "سيرة المنتهى"لواسيني الأعرج.

هي أسئلة يسعى البحث للإجابة عنها، و لمواصلة بحثي هذا و دراسته اعتمدت الخطة التالية:

مقدمة: تحدثت فيها عن موضوع بحثي، و هو السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر، و كل ما يتعلق من إشكاليات و شرح لما سأقوم به، إذ قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول: تناولت فيه ماهية السيرة الذاتية وسؤال اللاّ جناسية ،و أشكال التعبير الفني للسيرة الذاتية.

الفصل الثاني: و تناولت فيه السيرة الذاتية في الأدب الغربي ،و العربي، و السيرة في الأدب الجزائري.

الفصل الثالث: فهو شق تطبيقي، لرواية "سيرة المنتهى" لواسيني الأعرج و قمنا بتطبيق عليها، و استخراج ملامح السيرة في الرواية و مقوماتها.

و وجب عليا أن أحدد المنهج المتبع في مثل هذا البحث لأجل توضيح الرؤيا و استجماع أسباب التحصيل، فكان المنهج التاريخي و المنهج الوصفي التحليلي فاعتمدت المنهج التاريخي، الذي يهدف أساسا إلى تتبع المرحلة التاريخية للسيرة الذاتية ،و المنهج الوصفي التحليلي الذي يعين على وصف الظاهرة المدروسة و التحليل للوصول إلى نتائج.

و كما هو مألوف أن لكل عمل بداية و نهاية، و كانت نهاية هذا العمل خاتمة حاولنا فيها الإلمام بأهم المحطات الرئيسية التي استوقفنا عندها الموضوع.

أما مكتبة المراجع المعتمد عليها فقد كانت متنوعة من كتب عربية و مترجمة، و مقالات و مجلات و ملتقيات، و رسائل جامعية... إلخ، و من الكتب العربية المعتمدة عليها:

- عبد الدايم يحي ابراهيم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث.
- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي.

و من الكتب المترجمة:

- فيليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق و التاريخ الأدبي، ترجمة عمر حلي.

و اعترض طريق بحثي بعض الصعوبات أولها أن هذا الموضوع يحتاج الكثير من الوقت، و أن الرواية باعتبارها جديدة لم تدرس سلفا مما يحيل إلى صعوبة الدراسة فيها، من الجانب التطبيقي، إلا أن ثقتنا بالله و التوكل عليه و الاتصال بالأساتذة المتخصصين ساعدونا في تجاوز هذه العقبة، محاولة بذلك الوصول إلى أكبر النتائج الممكنة.

نختم بجزيل الشكر و الامتنان للأستاذة المشرفة نسأل الله أن يحفظها لاو أن يديمها ذخرا للغة العربية و محبيها، و كل من أعانني في إنجازه، و ندعو الله أن نكون قد وفقنا إلى جانب من الصواب.

I - ماهية السيرة الذاتية:

لم يستقر الدارسون على مفهوم السيرة الذاتية إذ يصعب تحديد مفهومها حسب المؤرخ الكبير لهذا الجنس الأدبي -السيرة الذاتية- "جورج ماي" و ذلك أن: "هذا الجنس حديثا نسبيا، بل لعله أحدث الأجناس الأدبية"[1] وهذا ما يجعل الباحثين في مجال السيرة الذاتية يختلفون حول ماهية هذا النوع الأدبي، فتنوعت التعريفات و تعددت المصطلحات الدالة على مفهوم السيرة الذاتية، و لكن قبل الخوض في تناول إشكالية المصطلح حري بنا النظر إليه لغويا.

مفهوم السيرة:

أ- لغة: يعرفها لسان العرب لابن منظور في مادة سير:

"و السيرة الطريقة يقال: سار بهم بسيرة حسنة، و السيرة الهيئة و تيسره تسيرة، و حدث أحاديث الأوائل، و سائر الكلام و المثل في الناس بمعنى شاع، و يقال هذا مثل سائر، و قد سير ةفلان أمثالا سائرة في الناس بمعنى معجم"[2]

و يعرفها معجم الوسيط:

"السنة و الطريقة و الحالة التي يكون عليها الإنسان و غيره".[3]

و يعرفها معجم المحيط:

"السيرة و الضرب من السير، و السيرة بالكسرة: السنة، أو الطريقة، الهيئة".[4]

و يعرفها معجم الصحاح في مادة سير:

---

[1]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1،بيروت 2002، ص9.

[2]- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب،دار الصبار ،مج4،ط1،بيروت،ص390.

[3]- ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، مج1، ط2، ص467.

[4]- فيروز أبادي، القاموس المحيط، بيت الأفكار الدولية ، ط1،بيروت، 2004، ص870.

"سار و سير، سيرا و مسيرا، تسايرا، و سايره، أي جاره، فتساير".[1]

و الملاحظة أن هذه المعاني المعجمية لكلمة سيرة أنها تتفق في معنى و أصل واحد و هو الهيئة و الطريقة و النقل، كما تشير أيضا السيرة لغويا إلى معنى الخبرة و الدلالة.

التحديد الاصطلاحي:

إن محاولة إستشراق الفضاء الصطلاحي للسيرة الذاتية يضعنا وجه لوجه أمام زخم من التنظيرات المتقاطعة حينا و المتضاربة حينا آخر، مما أدى إلى انقسام في أوجه النظر لدلالة السيرة الذاتية.

يعرف "فليب لوجون" السيرة الذاتية، إذ يقول: "أنها حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، و ذلك عندما يركز على حياته الفردية، و على تاريخ شخصيته"[2] و عليه حدد لوجون مقومات هذا الجنس الأدبي بأربع نقاط و هي:

- من حيث اللغة: حكي نثري.
- من حيث الموضوع: حياة المتكلم الفرد و تاريخ شخصيته.
- من من حيث السارد:ينبغي تطابقه مع الشخصية الرئيسية وهو يسرد الحوادث من منظور استعادي.

و من أبسط تعريفات السيرة الذاتية ما وضعه لها: "ستارو بنسكي". "Staro binsky" في قوله: "هي سيرة شخص يرويها بنفسه"[3]، و من الباحثين العرب الذين عرفوا السيرة الذاتية تعريفا قريبا من هذا المفهوم "محمد عبد الغني حسن"، إذ يقول: "التراجم الذاتية أو الشخصية: هي أن يكتب المرء بنفسه

[1]- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية، دار العلم للملايين، ، ج1، ط4، 1990، ص391.

[2]- فليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق و التاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص10.

[3]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان و جبرا ابراهيم جبرا و إحسان عباس أنموذجا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 2002، ص10.

تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه و أخباره، و سير أعماله و أثاره و يذكر أيام طفولته، و شبابه، و كهولته، و ما جرى له فيها من أحداث تعظم وتظؤل لأهميته"[1].

و كذلك "عبد العزيز شرف"، الذي يقول: "السيرة الذاتية تعني حرفيا ترجمة حياة إنسان كما يراه هو".[2]

فيما وضع "عبد القادر الشاوي "علامات من خلالها يمكن تحديد السيرة الذاتية بقوله: "أعني الحضور المتصل بضمير الأنا كتعبير عن امتلاك ناصية الكلام، و التذويب من خلال تحويل تلك الأنا إلى بؤرة، و الميثاق اللفظي الذي يتجلى في أوضح صورة في إعلان المؤلف عن مقصده من الكاتبة، سواء بالإحالة عن تجربة ممتدة أو محددة في الزمن، أو بمخاطبة القارئ

بالصيغ الدالة على الفرادة أو المنفعة أو الخلود، و كذا من خلال مختلف الإحالات التي قد ترد في النص، ضمنيا أو صراحة إلى تجربة الحياة الواقعية"[3]

و الملاحظة في كلام "عبد القادر الشاوي"أنه يركز على ثلاثة أمو ر و هي كالتالي:

1- استخدام ضمير المتكلم "الأنا"

2- "الأنا" هي بؤرة الأحداث.

3- تحديد الغاية من الكتابة.

[1]- تماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص10.

[2]- تماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتيةفي الأدب العربي، ص11

[3]- عبد القادر الشاوي، الكتابة و الوجود، السيرة الذاتية في المغرب، افريقيا الشرق، دط،المغرب، 2000، ص7.

و السيرة الذاتية وفقا لتعريفات النقاد لها، تبدو من أكثر الأنواع الأدبية مراوغة و مرونة، من حيث أنها نوع غير مستقر، و غيرمحدد بصورة نهائية، و أن مصطلحها لا يزال يكتنفه الغموض و اللبس، و من هذه التعريفات: "هي سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية".[1]

و منه أن السيرة الذاتية ليست مجرد أخبار تاريخية و لا هي مجرد تحليلات نفسية أو اجتماعية بل هي كل ذلك مسبوك في قالب فني راقي، و في لغة خيالية إبداعية، فقد يتخذ الشكل الروائي، أو الشكل المقالي أو الاعترافات و المذكرات، كل ذلك في نسق متألف يتعرض فيه لمراحل حياته المتعاقبة و تطوره الفكري و الوجداني و الروحي، و العقبات التي واجهته، و يهدف صاحبها لأن تكون توكيد للذات أو تنفيس عن انفعالات أو تبرير موقف غير مستساغ، أو الدفاع عن قضية فكرية أو اجتماعية آمن بها.

أما التعريف العلمي المعاصر لكلمة "سيرة" عند كل من:

"فارق خروشيد" و "محمد فهمي" و يحدد مكانها بين التاريخ و الأدب فهي: "تاريخ من حيث تناولها لحياة الفرد له أهمية كموجة للأحداث في عصره أو جماعة لعبت في تاريخ الشعب أو الإنسانية دورا ذا أثر و هي من حيث كونها انطباعات مؤلفها تتلون بثقافة و وضعه الاجتماعي و موقفه من الحياة، أي أنها ليست عملا عمليا تاريخيا يعتمد على الوثائق ثابتة القيمة المحققة للوجود، ثم ينهج إلى مناقشتها و مقابلتها ببعضها البعض لاستخلاص الحقائق المجددة التي لا تهم من الناس إلا أصحاب العلم و الدراسة العاملين، بل هي قد لا تعني على الاطلاق بهذا التمحيص أو المناقشة و قد نختار أضعف الأقوال بما يتفق

[1]- عدنان علي محمد الشريم، الخطاب السردي في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، ط1،الأردن، 2015، ص118.

دون غيره من موقف المؤلف و وجهة نظره و هذا يؤكد ذاتية السيرة كعمل، و ليست ذاتية شيء، و إنما هي الأدب أقرب و به ألصق".[1]

II- السيرة الذاتية و سؤال الإجناسية:

لم تتضح الرؤي فيما يخص التداخل بين فن السيرة الذاتية، و الأشكال الأدبية الأخرى و هذا ما أدى بالكثير من النقاد و الأدباء المهتمين بهذا الفن للبحث عن الحدود و الفواصل بين هذه الأجناس يقول "يحي عبد الدايم": "من الفوارق بين السيرة الذاتية و رواية السيرة الذاتية فتعد الأولى قصة لحياة صاحبها و يتذكرها، و يكتبها، أما الثانية فهي عمل فني متخيل ينهض على أحداث و وقائع من حياة صاحبها".[2]

و يشكل أدب السيرة الذاتية قضية شائكة تبددت ملامحها الأولية إثر التحول على خطية التشخيص الذاتي ذي الطابع التوثيقي ليرتاد أفق الممارسة الفنية الإبداعية، مما دفع بنتاج السير ذاتي إلى دخول مناطق نثرية تتخذ من واقع الماضي و منفذا لصياغة خطاب سير ذاتي "برؤية فردية هي حصيلة المعاشرة، الظاهرتية للعالم، و إسقاط الشعور و الوعي على أحداثه و أشيائه و إعادة تقديما عبر كشف ذاتي خالص".[3]

السيرة الذاتية و الاعترافات:

شاعت الاعترافات في القرن الثامن عشر تقريبا، إذ يعد هذا الفن رياضة روحانية تشبه درجة الإلهام عند الفنان، و قد انتشرت في أوروبا، فقد كانت الاعترافات السيرية الفنية في العصور الوسطى، و تعنى

[1]- فاروق خروشيد، محمد دهني، فن كتابة اللسيرة الشعبية، دراسة نقدية للسيرة عنتر بن شداد، د-ط، 1996، ص90.
[2]- يحي ابراهيم الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ط1،القاهرة، 1975، ص3.
[3]- حاتم الصكر، الذات الممحوة بالكتابة، مجلة راية مؤتة، العدد2، 1993، الأردن، ص15.

عناية شديدة بتجربة الكشف الصوفي، و أبرز مثال على ذلك هو اعترافات "القديس أوغسطين"، التي تعتبر قمة الاعترافات الدينية و من الاعترافات **عند العرب نجد:**

"المنقذ من الظلال "لأبي حامد الغزالي"، و " الطواميس، لابن منصور الحلاج"، و كلها تلون بلون الاعترافات التي هي أقرب إلى السيرة الذاتية في مواصفاتها و أسلوب كتابتها.

و أيضا اعترافات "جون جاك رسو"، التي لقت شهرة واسعة،و منه نلاحظ أن الاعترافات لها جانب روحاني ديني، و أنها تخص القساوسة و رجال الدين، و هي عبارة عن تطهير للنفس من خلال الاعتراف على شكل سيرة ذاتية لكل مراحل حياتهم.[1]

السيرة الذاتية و الرواية:

الرواية فن من فنون الأدب، غايته سرد حادثة، أو معالجة فكرة اجتماعية بأسلوب يقوم على السرد أي حكاية الوقائع على النسق التاريخي و التشويق.

فأكثر الأعمال الأدبية تدل على ذاتية كاتبها، كما تعرف "أن هذه الذاتية تختفي وراء الشخصية الروائية، بيد أنه ليست كل قصة صورة حياة صاحبها، تعد ترجمة السيرة له.

حيث يقول "جورج ماي": "ما يميز موقفنا عند قراءة سيرة ذاتية من موقفنا عند قراءة رواية، ليس كون الأولى حقيقية و الثانية خيالية و إنما الأولى تظهر لنا في لبوس الحقيقة و الثانية تظهر لنا في لبوس الخيال".[2]

و الرواية أيضا كما وضعها عدد من الروائيين: هي الفن الذي يوقف بين شغف الإنسان بالحقائق، و حنينه الدائم إلى الخيال، و لعل هذا الوصف ينطبق على الفن بصفة عامة و على رواية السيرة الذاتية

[1]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية،العدد23،جامعة بنجاب، ص202.

[2]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص202.

بصفة خاصة، حتى لو ادعى الكتاب أنفسهم غير ذلك، إلا أن رواية السيرة الذاتية تبقى إلى جانب ذلك عملا أدبيا، أي لابد للخيال أن يكون له دورا فيه، فالنص الأدبي لا يكتسب صفته الأدبية إلا بانتقال من الواقع إلى التخييل، و بقدر نجاحه في ذلك يكون نجاح العمل بصفة عامة.[1]

و تعد الرواية أكثر الأشكال الفنية قربا من السيرة الذاتية، فمن حيث البناء الفني يوجد تداخل كبير بينهما.

و من الأشكال المألوفة في الرواية، أن يكون السارد هو الشخصية الرئيسية التي تدور حولها الأحداث، و يصف الأشخاص و الأحداث من وجهة نظره، و من المألوف أيضا أن يتسم السرد بالمنطق و التماسك إلى درجة تقتنع معها أن أحداث النص الذي نقرؤه قد وقعت بالفعل.

و مثل هذا الشكل الروائي يصلح أن يكون سيرة ذاتية، بشرط أن يتطابق السارد مع المؤلف.

و في كثير من الأحيان نجد أن هناك تشابها بين الشخصية الرئيسية في العمل الأدبي، و بين المؤلف، لكن هذا التشابه لا يصل إلى حد التطابق، و هذا الشكل سماه "فليب لوجون": رواية السيرة الذاتية لأن المشابهة درجات، قد تكون كبيرة أو قليلة.

و تختلف السيرة الذاتية عن الرواية بخيالها المقيد، و في طريقة التعامل مع الزمان و المكان إذ أن: "الزمان و المكان في السيرة الذاتية قيمة وثائقية" لا يستطيع معها المبدع أن يتجاوزهما أما الروائي فيستطيع أن يجعل زمان روايته ممتدا عبر قرون طويلة و ينتقل بحرية خلال ذلك الزمان الممتد على سبيل المثال: من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ثم يرتد إلى العباسي بدون قيد.[2]

[1]- قحطان بيرقدان، رواية السيرة الذاتية بين الواقع و المتخيل، 29-1-2005.

[2]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص202.

و تشترك السيرة الذاتية مع الرواية في أن الأديب الجيد يستطيع أن يجعل فيها عنصر التشويق، فيغري القارئ بإتمام قراءتها إلى النهاية، و لكن تختلف معها في أن الرواية نهايتها تكون غالبا مجهولة لدى لقارئ.

إلا السيرة الذاتية هي الوصول إلى الوضع الذي يعيش فيه المؤلف وقت كتابة السيرة.

و إذا كانت السيرة الذاتية كاتبها مجهولا غير متميز في أي مجال من المجالات فإن سيرته لن تلقى رواجا بين القراء.

و قد تشابه الشخصية الرئيسية في الرواية مع المؤلف لكنها لا تطابق معه، كما هو حال السيرة الذاتية التي يكون فيها الراوي المتكلم هو الشخصية المحورية كما يسميه "فارديمان" "الأنا المشارك" و هو في ذات الوقت يحمل شخصي المؤلف.[1]

إن ميثاق السير الذاتي يوجب جزم كاتب السيرة الذاتية بصدقه و عزمه عن قول الحقيقة، و إن كان هذا الأمر من المعتذر تحقيقه، و في المقابل فإن رواية السيرة الذاتية، و التشابه و التماثل المتفاوت الدرجة في رواية السيرة الذاتية ففي الوقت الذي تجعل فيه المطابقة التساوي ممكنا بين المؤلف و السارد و الكائن السيري، فإن المشابهة في العمل الروائي السير ذاتي تمنح الإحالة إلى السارد السيري أو كائن يروي قصة حياته لسببين مهمين:

الأول: الفضاء التخيلي في العمل الروائي الذي يساعد المتطابقة المفترضة في السيرة الذاتية.

[1]- محمد الباردي، السيرة الذاتية في الأدب العربي، عندما تتكلم الذات، منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق 2006-2012،ص23.

و يرى لوجو ن أن التطابق في السيرة الذاتية بين المؤلف و السارد و الشخصية إما أن يتحقق بصورة ضمنية من خلال التصريح الواضح بأن النص هو سيرة ذاتية، أو يتقدم السارد بجملة من الالتزامات للقارئ و ذلك بالتصرف مثل المؤلف.

الثاني: تصريح بتخييل، غالبا ما يكون ذلك خلال العنوان الفرعي "رواية".[1]

ب- السيرة الغيرية:

يراد بها الجنس الأدبي الذي يكتبه بعض أفراد عن غيرهم من الناس سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أو الزمن الحاضر.

و قد أخذها "عبد اللطيف الجديدي في كتابه فن السيرة" بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة و يفصل المنجزات التي حققها، و أدت إلى شيوع شهرته و أهلته لأن يكون موضوع دراسته.

و السيرة الغيرية أقدم زمنا من السيرة الذاتية، لأنها برزت مع التاريخ و الأدب، و منذ وجود الحضارات، جعل الرجال يؤلفون فيها الذين كانوا يتكسبون في بلاط الحكام و السلاطين، فكانوا يكتبون ما كان يجري في زمنهم من تطور و نشوء، فكتبوا للملوك و السلاطين و للحروب و سيرة المحاربين و أن معظم هذه الأعمال تشتمل تحت مفهوم السيرة الغيرية.[2]

أي كانت السيرة الغيرية مصدر رزق لمجموعة من الأدباء، حيث كانوا يكتبون سير ملوكهم و سلاطينهم للتكسب منهم.

مثل: "العبقريات للعقاد عبقرية عمر".

[1]- عدنان علي محمد الشريم، الخطاب السردي في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث،ط1، الأردن، 2015، ص ص226-227.

[2]- يحي ابراهيم عبد الدايم، عندما تتكلم الذات، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية ،دط ، بيروت ،ص191-192.

ووقف النقاد عند تداخل الأجناس، و رأى البعض أنها تعود إلى طبيعة الفنان فهي ذات طابع فردي ذاتي في حين وجد آخرون في طبيعة إيقاع حياة هذا العصر أو ذلك سببا في تداخل تلك الأجناس[1]، و من بين الأجناس الأدبية التي تمتاز بالتداخل، و تملك القدرة على استعارة عناصر أجناس أخرى للسيرة، و هي فن رأى بعض الدارسين أنه وجد طريقه حديثا إلى فنون الأدب.[2]

و تعد قضية الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية، و تلك الأجناس التي تتداخل معها أمرا تختلف رؤية النقاد حوله، فمنهم من رأى ضرورة حضور تلك الفواصل، و عدوها إفرازا طبيعيا لطبيعة العصر الذي أنشأ الجنس الأدبي، و منهم من قال بضرورة القفز عن تلك الفواصل معتمدين في ذلك على مقولة النص المفتوح.

و من هنا يمكن القول أن تلك الحدود التي تفصل الأجناس الادبية المتداخلة مع جنس السيرة الذاتية ما زالت تمتاز بالحقوق.

و هذا من شأنه أن يجعل بعض الدارسين أن يخلط بين جنس و آخر لعدم وضوح الرؤية، و اختفاء تلك الفواصل في فضاء النص أو بين سطوره فكل جنس أدبي يمكن أن يحتوي على عدة أجناس أخرى، و الذي يجمع بين تلك الأجناس هو النص.

و هذا ما يفسر صعوبة التفريق بين الأجناس، و إذا ما بقينا عند التحليل الداخلي للنص.[3]

حيث يرتهن إلى أسلوبية البحث عن طريق تحفيز الذاكرة تحفيزا إبداعيا يتعدى "التعبير المجرد المحايد عن التجارب إلى استنباط لذات و استظهار طبقاتها"[4] عبر مسارب يستند فيها الكاتب السيري الذاتي إلى

[1]- محمد صالح، تداخل الأنواع الأدبية في الرواية الأردنية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، ج2، ص224.

[2]- عبد الغني محمود، فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون، أزمنة للنشر و التوزيع،ط1، عمان، الأردن، 2006، ص21.

[3]- يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص4.

[4]- محمد صابر عبيد، تمظهرات التشكيل السير الذاتي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، ص18.

الذاكرة بوصفها "مصدرا أساسا و مرجعية، ممولة للصورة و الأحداث و الحالات، تفرد النص السيري بمعطيات يبدو بعضها للوهلة الأولى غير الذات أهمية، لكنه ما يلبث أن يكتسب بأهميته و خطورته في نسيج اللغة السيرية، حيث يتفاعل مع ذاكرة اللغة ذاتها إثر دخول اللغة ميدان الكتابة و تحولها إلى الحركة و الفعل".[1]

أي أن السيرة الذاتية يعتمد كاتبها على الذاكرة حيث هذه الأخيرة تعتمد على ذكريات الماضي و الحاضر لسرد سيرته و استظهار خفايا الذات و يعتمد كاتب السير الذاتي على أدق التفاصيل حتى و إن لم تبلغ ذات الأهمية عند المتلقي و تكون العكس عند كاتب السير مثل: الصور، الأحداث، التواريخ .... إلخ.

حيث يجد الباحث أن السيرة الذاتية فن زئبقي، يصعب ضبطه أو تصنيفه، و هذا ناجم عن تعدد أشكاله، وتنوع أساليبه، فهو فن يرفض التجنيس، و يستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى.[2]

أي أن السيرة الذاتية فن تمتاز بمعالم صعب ضبطها و تحديدها لأنه فن متعدد الأشكال متنوع الأساليب، و زد على هذا فهو يرفض التجنيس، بينما يأخذ و يستفيد من الأجناس الأخرى مثل الرواية.

السيرة الذاتية و المذكرات:

تعرف المذكرات بأنها: "فن نثري إبداعي، يصور المحطات الرئيسية في مسيرة حياة المؤلف، فضلا عن تقديم الأحداث التي مر بها بشكل غير متسلسل و غير محدد بأيام و تاريخ".[3]

[1]- محمد صابر عبيد، تمظهرات التشكيل السير الذاتي، ص19.

[2]- محمد شعبان عبد الحكيم، السير ذاتي في الأدب العربي الحديث، وجبة نقدية، ص225.

[3]- أنور الجندي، أضواء على الأدب العربي المعاصر، دار الكتاب العربي، دط، 1978، ص128.

فكثيرا ما استعمل هذا المصطلح "المذكرات" بمعنى السيرة الذاتية و كثيرا ما وشحت كتب السيرة الذاتية بعبارة مذكرات و بها تعقد مع المتلقي ميثاق قراءة و لكنه ميثاق زائف لأن الحد الفاصل بين السيرة الذاتية و المذكرات قائم.

فالسيرة على خلاف المذكرات تروي أحداث شخصية و تنأي عن سرد الأحداث العامة، في حين تركز المذكرات عادة على تدوين الأحداث دون التعليق على الحياة الشخصية لكاتب المذكرات.[1]

و تهتم المذكرات اهتماما كبيرا للأحداث حول داخلها و خارجها أكثر مما تهتم للكاتب نفسه، و تستفيد من المذكرات قدرا كبيرا عن المجتمع الذي يدور حوله.

و ثبت بأن المذكرات، تولي الحياة العامة أثناء الحياة الخاصة للكاتب لأنها توحي إلى حياة فرد كما تراها.

و المذكرات من حيث المادة التي تحتويها أوسع مدى من السيرة.

السيرة الذاتية و التاريخ:

السيرة الذاتية تمشي إلى جانب التاريخ جنبا بجنب، تنشأ و تشب في حضن التاريخ، و هي تتحدث عن فرد منذ ولادته و نموه و تعليمه و تربيته إلى لقاء ربه تعالى.

و يذكر "إحسان عباس" هذه العلاقة الوطيدة بين السيرة الذاتية و التاريخ، إذ يقول: كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، و أعماله متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة لها، أو متأثرة بها، فإن السيرة تحقق غاية تاريخية، و إذا قلنا بأن السيرة الذاتية تشتبه بالتاريخ و ترسم صورة واضحة من التاريخ و لا يعني بأنها تطابق من كل الوجوه بل إنها تختلف عن التاريخ في عدة أمور، و من أهم هذه الأمور هي:

[1]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص191.

- أن السيرة الذاتية تعتمد على الذاكرة فقط و قد تسقط بعض الأشياء و الأمور و تغفل عن البعض الآخر.
- و التاريخ يعتمد على الوثائق العلمية و الشهادات الموثوقة.[1]

و السيرة الذاتية تشبه التاريخ في حاجتها للتحري و الصدق، و في اعتمادها في بعض الأحيان على الوثائق و المدونات.

كما أنها تشبهه في أنها تحتوي على أحداث و أشخاص.

و لكن التاريخ يركز غالبا على الأحداث، أما السيرة فيجب أن تركز على شخص واحد و يكون هو محور الحديث و الأشخاص الآخرون و الأحداث الأخرى تدور في فلكه.[2]

لذلك كانت السيرة الذاتية أقرب إلى التأثير الدرامي من كل ألوان التاريخ الأخرى، و كانت أكثر إشارة للقارئ من كل كتابه تاريخية غيرها: حيث مجيش بكافة الانفعالات و العواطف التي تثور في أعماق البشر، و التي تتجرد منها الوقائع التاريخية كحدث، و إن كانت من العمل الإنساني ذاته، و لذلك يذهب أصل التاريخ إلى أن السيرة قصة تاريخية لا تشيد أبدا عما يقيد التاريخ من حقائق تعتمد على الوثائق و المدونات و الأسانيد القاطعة البعيدة عن الكذب و الافتراء، إلا أنها قصة تتعلق بحياة إنسان فرد ترك من الأثر في الحياة ما جذب إليه التاريخ، و أوقفه على بابه، و هي أثقل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة و الأحاسيس النابضة لأنها تعرض من سيرة فرد لجوانب حياة المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته و تبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه و تفرده.[3]

[1]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص200.

[2]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص17.

[3]- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية،الشركة المصرية لونجمان،دط،مصر،192، ص15.

السيرة الذاتية و اليوميات:

فهي سرد يسري و يخضع خضوعا كاملا لسلطة الزمن اليومي و يتقيد كتابيا، بظروف الزماكنية و النفسية و الاجتماعية لكيفية اليوم الذي تسجل فيه كل يومه و تقوم على حدث واحد أو مجموعة أحداث و تكون ذات حيوية و حرارة و تنوع، لا تعتمد على آليات السرد الاسترجاعي لأن الزمن الحاضر الآني و هو المهيمن في اليومية.[1]

و اليوميات هي أكثر قربا ممن السيرة الذاتية إذ أنها، تسجل التجارب و الخبرات اليومية، و حفظ الأخبار و الأحداث الحياتية للشخص.

و تختلف السيرة الذاتية عن اليوميات في أن الأحداث ترد فيها على شكل متقطع غير مرتب، كما أنها تتسم بالقدرة على رصد المواقف عند حدوثها، و هي تقتصر تبعا لذلك إلى المنظور الاستعدادي في القص.

اليوميات عبارة عن مدونات لها القوة الوثيقة التي لا يمكن تعديل زمنها:

فهي تشبه السيرة الذاتية من جهة، و تختلف عنها من أوجه أخرى، فهي تشبه السيرة فيما يتعلق بحياة الفرد، و تختلف عنها في عدم تتبع نمط السيرة الذاتية.[2]

و اليوميات تعبر عن أعمال جامدة، و أنها لاتلتزم بتقنيات فنية بدرجة الإبداع، و كذلك ليس من الصعب كتابة الأحداث اليومية التي تجري في حياة شخص ما.

و لكن القدرة و الاستيعاب على هذه الأحداث و كتابتها تبقى ضرورية لتصليح الترجمة الذاتية و الغيرية، تحتاج إليها.

[1]- محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، ص132.

[2]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص201.

اليوميات التي تركز على رصد الأحداث فقط، و أحسن نموذج على ذلك نجد "يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية" لـ: "أكرم زعتر" التي طبعت سنة 1996.[1]

و قد تتخذ السيرة الذاتية شكل اليوميات في تدوينها عندما يفصل الكاتب بين مقاطعها السردية و يكسبها استقلالية معنوية، و يتكافئ على الزمن الحاضر في سردها و ضرب زمن السرد و زمن التجربة لإيهام بأنه يسجل الحدث في زمن وقوعه.[2]

و هناك فرق بسيط بين المذكرات و السيرة الذاتية و هيأن السيرة تعتمد على الذاكرة و تهتم بها على تسجيل ما مر بها، و المذكرات قد تكون جزءا مهما يساعد كاتب السيرة على تذكر ماضيه أما المذكرات فهي تعتمد على الوقائع التاريخية و لا دخل للذاكرة فيها: نحو:

مذكرات "محمد عزة دروزة" التي بدأ بنشرها عام 1948م، و جاءت تحت عنوان "مذكرات و تسجيلات مائة عام فلسطينية".[3]

III- أشكال التعبير الفني للسيرة الذاتية:

للسيرة الذاتية أشكال مختلفة و عديدة، في التعبير الفني، و منه نطرح الإشكال التالي:

- ما هي الأشكال التعبيرية للسيرة الذاتية؟.
- ما هي خصائصها الفنية التي تميزها عن غيرها؟.

أ- القالب الروائي:

[1]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص202.

[2]- شيماء عبد الحسين ابراهيم، أنماط السيرة الذاتية، دراسة و تحليل، العدد29، ص81.

[3]- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، ص191.

و هو الذي يستعين فيه المؤلف ببعض العناصر الفنية للأسلوب القصصي، مثل: التصوير الشخصي، و رصد الصراع الداخلي و الخارجي، و الحوار، و هو الذي استعان به "طه حسين" في سرته المعنوية " الأيام".

و هذا القالب لم يكن شائعا في النصف الأول من هذا القرن، لكنه الآن أصبح أكثر شيوعا، و ذلك لأن كتابة السيرة الذاتية شاعت أكثر من ذي قبل، لأن هذا الشكل أقدر على جذب القارئ و تشويقه من الأشكال الأخرى، و الذين استعانوا بهذا القالب في كتابة سيرتهم الذاتية، الكاتب المغربي "محمد شكري" في سيرته الموسومة بـ: "الخبز الحافي"، و قد استعان "خبرا ابراهيم جبرا" أيضا بالقالب الروائي في بناء سيرته الذاتية: "البئر الأولى".[1]

و لعل أكبر روائي استعان بهذا القالب في كتابة سيرته هو "نجيب محفوظ"، في سيرته الموسومة بـ: "أصداء السيرة الذاتية" و أيضا سيرة "محمد القيسي"، المتمثلة في "كتاب الابن" و "ثلاثية حمده"، فقد أثبت "محمد القسي" فيها أنه "يتمتع بحس قصصي غني، و قدرته على التخييل لا تضاهيها إلا قدرة قصاص كبير مثل "جبرا ابراهيم جبرا".[2]

و منه نلاحظ أن الشكل الروائي للسيرة الذاتية تقوم بمزاوجة بين عرض أحداث حياتية للواقع المعاش، في شكل روائي معتمدا السرد و التصوير، بحيث يكون ترابط و تناسق في الأحداث الروائية، إضافة إلى استخدام الخيال استخداما محدودا، و اللجوء إلى الحوار و الكشف عن أبعاد الشخصية، و استخدام

[1]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، فدوى طوقان و جبرا ابراهيم جبرا و إحسان عباس أنموذجا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، عمان، 2002، ص81-82.

[2]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص83-86.

الطابع التصويري الإيحائي مع حس صياغة الأسلوب و تحقيق المتعة الجمالية، و من أمثلة ذلك: "ثلاثية حنا مينا".

ب- القالب التقريري الوصفي:

هو الذي ينقل فيه المؤلف الأحداث كما شاهدها، دون أن يضفي عليها شيئا من ذاته، و هو الذي استعان به أحمد أمين في سيرته، و هذا القالب أكثر سهولة على الكاتب، و أقل متعة و تشويقا للقارئ من الشكل الروائي القصصي، و من الأمثلة عليه نجد: سيرة "سلامة موسى" في كتابه "تربية سلامة موسى"، و التي تعد أقرب في بعض الأحيان من التاريخ.

و يبرز الأسلوب التقريري الإخباري أيضا في سيرة "هشام شرابي" بعنوان "الجمر و الرماد" و "صورة الماضي".

و إذا كانت سيرة "أحمد أمين" تلتقي مع سيرة "طه حسين" في بعض الجوانب المتعلقة بالمضمون، فإنها تختلف عنها في البناء الفني، ف "طه حسين" استعان بتصوير الصراع الداخلي و الخارجي، أما "أحمد أمين" فإنه لم يستعن بأسلوب الصياغة القصصية سوى في: "طريقة السرد المتصل بالأحداث و الوقائع و المواقف الناقلة لسيرة حياة و أطوار شخصيته".[1]

أي أنه ينهج فيه المؤلف نهج المؤرخ في تتبع سيرة حياته، و يكون في شكل تصاعدي للأحداث، معتمدا الأسلوب العلمي الصرم، فلا مجال للخيال و اللغة الموحية المعبرة، و إن المؤلف يرصد الأحداث لحياته بمنهج الأدب الذي يخلق نصا أدبيا فنيا، و من النماذج التي تمثل هذا الشكل "حياتي لأحمد أمين"، "معي لشوقي ضيف"، "سنوات، ذكريات لمحمد هيكل".

[1]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص ص79-86.

ت- القالب التفسيري التحليلي:

و هو الذي يعتني فيه المؤلف بتحليل الأحداث، و تفسيرها تفسيرا منطقيا، و هو الذي استعان به "عباس محمود العقاد" في سيرته و تكثر الاستعانة بهذا الأسلوب عند كتاب المقالات الصحفية، عندما يكتبون سيرتهم الذاتية، و قد استعان بهذا الأسلوب: "محمود العقاد" و "لطفي السير"، في سيرته الذاتية "قصة حياتي"، فهو يختار لبناء ترجمته الذاتية، الأسلوب التحليلي، و هو أسلوب المقالة التي كتبها و يعمد إليه ليكون وعاء يصب فيه ما نستدل منه على مراحل حياته المختلفة، و على أطوار شخصيته.

و قد استعان بالأسلوب التحليلي أيضا "خيري منصور"، في كتابه "صبي الأسرار" و "سبعون لميخائيل نعيمة" و "أنا للعقاد".[1]

أي أنه يبني المؤلف سيرته في مجموعة من الفقرات ينهج فيها نهج المقالة بطريقة تقوم على التفسير و التدليل.

[1]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص88.

I- السيرة الذاتية في الأدب الغربي:

تضرب السيرة الذاتية عند الغرب في عصب التراث اليوناني و الروماني و المتجسدة في الوصايا و الرسائل التي خلفها القساوسة و رجال الدين، فالأسباب التي أباحت لظهور هذا الجنس الأدبي: "هي أسباب دينية و اجتماعية تتصل بالمجتمع الغربي، ذلك أن محاسبة النفس و الإيمان بالأخوة بين بني البشر و بتساوي النفوس كلها في القيمة التي تدعو إليها الديانة المسيحية، سهلت ظهور بعض السير الدينية الشهيرة في القرنين السابع عشر، و الثامن عشر".[1]

أي أن السيرة الذاتية بالمفهوم الحديث لم يكن لها وجود في الأدب الغربي قبل (1600) بل ظهرت بعد ذلك و إن كان الكتاب يتوخون ما يشبه السيرة الأدبية في كتابتهم، و رغم ذلك لم يستطيعوا صنع جنس أدبي قائم بذاته و هو فن السيرة الذاتية.

فكثير ما كان الكتاب في الزمن القديم يكشفون عن قدر كبير من أنفسهم كما فعل "هوراس" في أشعاره، و "شيشرون في رسائله و لكن ليس هناك بمعنى الكلمة، أية أمثلة للسير الذاتية باقية من الأدب الكلاسيكي و على الرغم من أن هناك تراثا محتفظا به من الكتابات عن السيرة الذاتية إذ لم يبدأ إلا في وقت متأخر جدا.[2]

و أقدم ما كتب في فن السيرة الذاتية كان على يد شخصين يونانيين هما:

"فيتو فريسطوس" و "بلو تارك"، غير أنهما اهتما بالأنماط العامة، أكثر من اهتمامهما بالصفة الشخصية و كان هذين الأخيرين مهتمين بما هو شائع من الشخصيات و لم يهتما بما يميز كل فرد بعينه.

[1]- فوزية الصفار ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، كتاب سبعون لمخائيل نعيمة، أنموذجا، د.ط، تونس، 1999م، ص:17.

[2]- عبد العزيز شرف ،ادب السيرة الذاتية، ص:39.

بدأت السيرة الذاتية بالاهتمام في الدراسات الغربية، خاصة و أن الدراسات في خضم الثقافة المعاصرة أصبحت تهتم بالفنون المركزية، فيما يعرف بالأدب الهامشي أو الموازي:

(littérature para)، هذا يعني إعادة الاعتبار لما يكتبه المرء عن ذاته، كما أبرزت إمكانات تشخيص التجربة الذاتية من الكتابة عن الأنا: (écriture du moi)، أو الأشكال السيرية: (forme biografiques).[1]

و أقدم رواية للسيرة الذاتية في الأدب الإنجليزي، انحدرت إلينا، هي الكتاب الغريب و المستوعب "كتاب مارغري كيمب"، الذي كتب في أوائل القرن الخامس عشر، و لكنه لم يكتشف إلا عام (1993) في مكتبة خاصة في الانكشاير.[2] كانت السيرة في الادب الانجليزي

مقصورة على حياة القديسين فقط حتى عام 1979 و من أهم هذه السير، ما كتبه "ألفريك" عن سيرة القديس "أديمون"، و كذلك من أشهر التراجم الذاتية في الأدب الإنجليزي على وجه الخصوص، اعترافات القديس "أ غوسطين" التي تعتبر قمة الاعترافات الدينية.

ثم ظهرت بعد ذلك اعترافات على شكل سير في الأدب الغربي و من أشهرها اعترافات "تولستون" و اعترافات "جون جاك رسو"،[3] و يذهب "جورج ماي" إلى أن "بداية قبول هذا الجنس الأدبي جاء بعد اعترافات "جون جاك رسو"، التي قدمها بعنوان "الاعترافات".

[1] -http://www.alnour.se/article .2016/12/25; 23 :00

[2]- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص:39.

[3] -http ://www.alnour.se/article .2016/12/25 ;23 :05

و وفقا لهذا الطر ح يغدو تاريخ نشأة السيرة الذاتية لدى الغرب مرتبطا بـ"جون جاك رسو" لأن اعترافاته مثلت بداية الوعي بهذا الفن، و كانت فاتحة قبول هذا الجنس الأدبي الوليد في مبعد الأجناس الأدبية.[1]

و قد انتشرت السيرة الذاتية في القرن العشرين، لانتشار الرومنسية التي اعتنت بالفرد و ذاتيته و أحاسيسه، و قد اتصفت هذه السيرة الذاتية بالجرأة و الصراحة و التعري أكثر من غيرها.

فنجد بعض الكتاب يكشفون عن بعض العلاقات الشخصية دون تحرج مثلا: "جون جاك رسو" الذي يعترف فيها بالسرقة، و بعلاقة مع النساء و كذلك اعترافات "أنطوال فرانس"، و يوميات "أندري جيد"، و يوميات "جبريل مرسال" تعتبر من أشهرها في الأدب الفرنسي.

أما في الأدب الألماني فنجد، رسائل "غوتيه"، "للشعر و الحقائق"، و ثلاثة تراجم لـ: "كارل بايسرس حول فلسفتي، و في طريقة الفلسفة، و السيرة المجملة".

أما في الأدب الروسي فنجد اعترافات "تول ستوي"، و يوميات "ماري بشكير تشيف" و تعد من أشهرها في الأدب الروسي.[2]

و منه نلاحظ تعدد الدوافع لكتابة السيرة الذاتية عند الغربيين، فبعض كتاب السير يعمد إلى توضيح بعض جوانب حياته، أو توسيع بعض الأعمال التي قام بها، و قد يكتب بعض السير بوحي مشاعر الحنين إلى الماضي، و هناك سير ذاتية يكون هدفها كسب المال، لأن أصحابها من المشاهير الذين يرغب الجمهور في الاطلاع على خفايا حياتهم.[3]

[1]- تغريب محمد القاضي و عبد الله صوله، جورج ماي، السيرة الذاتية، بيت الحكمة، د.ط، تونس، 1992، ص:81.

[2] -http//aA.www.wikipiedia.aag : 2017/02/12 :30

[3]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 35.

و من نلاحظ أن السيرة الذاتية لاقت النصيب الأكبر من الرعاية الأدبية و النقدية، لتصبح في مرحلة متأخرة جنسا قائما بذاته، اتجهت نحوه الأقلام الأدبية الغربية و أبدعت فيها و مزجتها مع أجناس أخرى.

انتقل الاهتمام إلى الساحة العربية بعد التأثر و الإعجاب بهذا الجنس الجديد الفاضح لعيوب الذات و المعري لحقيقة الإنسان، غير أن الكتاب العرب، و بحكم التقاليد العربية التي تميل إلى التكتم و الستر و الطبوهات التي تحكم المجتمع العربي، آلت دون الانغماس في هذا النوع.

و من هنا نطرح التساؤلات التالية:

هل عرف الأدب العربي القديم فن السيرة الذاتية؟ و ما هي ملامحها في الأدب العربي الحديث؟.

II- السيرة الذاتية في الأدب العربي:

أ- جذور السيرة الذاتية في التراث العربي القديم:

من الباحثين من ينكر وجود أصول السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم مثل "جورج ماي"، و منه من يعترف بوجود بعض تلك الأصول لكنه نسبها لغير العرب من الفرس و الموالي، مثل "عبد الرحمان بدوي" الذي يرى أن الجنس السامي غير قادر على كتابة السيرة الذاتية.

و مما لا ريب فيه أن الإنسان لا يمكن أن يقف صامتا دون إبداعه في مجال من مجالات أو فن من الفنون، لأن الإنسان بطبعه اجتماعي و لابد أن يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، و يتلون بصبغته و نحن لا نستطيع أن نقر بأن إحساس الإنسان العربي بشخصيته كان إحساسا ضعيفا كما يقول "عبد الرحمان بدوي".[1]

[1]- عبد الرحمان بدوي، الموت و العبقرية، دار العلم، ط1، بيروت، د.ت، ص:114-115.

لكن يرى الباحث عكس ذلك، فمنذ الجاهلية انتشرت العصبية القبلية بين العرب، و كانت كل قبيلة تسعى للظهور على القبائل الأخرى و مفاخرتها فتسهب في الحديث عن أنسابها و أصولها و مفاخرها، فنظرتهم قائمة على الأيام و طبيعة الحرب و شؤون القتال، فقد كان زعماء القبائل و فرسانهم وسائر أفرادها ما يجدون المتعة و اللذة في الحديث عن الانتصارات و البطولات والعمل على تخليدها.[1]

و الجدير بالذكر أن الإنسان العربي كان يرى في مدح قبيلته مدحا له شخصيا و في ذمها ذما له، لذلك كان يحرص عليها و يستميت في الدفاع عنها و توفير الحماية و الحياة الكريمة و الالتزام بالقرارات القبلية محقة أو مخطئة فولاء العربي لقبيلته لا يعني نقص إحساسه بذاته، إنما يدل على شدة إحساسه بها، و رغبته في أن يظل قادرا على الفخر بنفسه و بقبيلته،و أما القبائل الأخرى، و من الذين رأوا أن بذور السيرة الذاتية نشأت عند العرب في الجاهلية "كارل برو كلمن".

لكن لم تصلنا نصوص نثرية أو شعرية مكتوبة سردها الإنسان عاش في العصر الجاهلي من نفسه، ذلك لأن الكتابة كانت قليلة في ذلك العصر، فالشاعر الجاهلي أسهب في الحديث عن نفسه و وصف مشاعره و تصوير أمجاده، و بطولاته، فمن الطبيعي أن يصلنا الشعر لا النثر، لأن الشعر أسهل في الحفظ و التداول بين الرواة من النثر.[2]

لم تنشأ السيرة الذاتية في الأدب العربي الحيث من حيز العدم، فحفرياتها متجذرة في صلب المدونات النثرية التي تناولت نصوص التراجم و السير الذاتية العربية ففن "السيرة الذاتية فن أدبي عريق في حضارتنا العربية و الإسلامية و إن لم ينفرد بمصطلح نقدي مخصوص".[3]

[1]- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، مجلة أفكار الغرب، العدد141 ،2000 ، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، ص:31.
[2]- تهاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، ص:31.
[3]- منصور العبوس، التكوين الجمالي للسيرة ذاتية في الأدب السعودي الحديث حياة في الإدارة الغازي القصبي، أنموذجا، مج66، 2008، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ص:479.

و لعل سيرة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم كانت "أولى التراجم و أهمها على الإطلاق، بل كانت الأصل الموجه في صياغتها ما تلاها من سير".[1]

بإيعاز بواعث فكرية و نفسية و روحية اتخذت من سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم و مآثره الشخصية و الذاتية منفذا لاكتساح فضاء تدوين الحديث الشريف.

و إنساقت وراء مشروع احتواء الرموز العربية التي ساهمت في بناء صرح الحضارة الإسلامية، فكان أن وضعت منصفات خلدت مآثر علماء الدين و اللغة ركحا على هذا التصور، و يمكن القول أن الأدب العربي القديم لم يقدم لنا سيرا ذاتية تحمل ملامح السير الذاتية الحديثة، لأن لكل عصر أدبي ملامحه الخاصة به، كما أن الأشكال الأدبية في تطور مستمر و لذلك كانت الكتابات الذاتية في التراث العربي بمثابة الأصول و البذور الأولى للسيرة الذاتية لا سيرا بالمعنى الاصطلاحي الحديث.[2]

ب- السيرة الذاتية عند العرب المحدثين:

تعد بداية القرن (19) بداية تاريخ الفكر العربي الحديث حيث بدأت حركات التحرر تظهر على الساحة العربية و قد ظهرت في مصر، و كانت على رأسها الحركة الفكرية التي دعى إليها "رفاعة الطهطاوي"،[3] أي أنها تأثرت بشكل واضح بالأنموذج الغربي من جهة و استرشدت بفيض الموروث العربي من جهه أخرى.

و في نهاية القرن (19) انعتقت السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث عن أسر النمطية و جمود الفاعلين في التراجم و السير التقليدية، و يعود هذا إلى ما ذكرناه سالفا هو اتصالهم بالحضارة الغربية.

[1]- خديجة الزعتر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، جبرا ابراهيم جبرا، أنموذجا، جامعة اللسانيات، وهران، 2003-2004، ص:35.
[2]- خديجة الزعتر،السيرة الذاتية في الادب العربي ، ص:36.
[3]- عوض يونس، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، معهد الدراسات العالمية، ج1، د.ط، القاهرة ،1962، ص:32.

فأصبحت السيرة الذاتية جنسا قائما بذاته بوصفه فنا جديدا من حيث المفهوم و كذا المصطلح، سعى الكتاب العرب المحدثون إلى التفنن فيه من خلال كتاباتهم و سيرهم الذاتية.

و يعد كتاب "الأيام لطه حسين" النص الأدبي الأول المتمثل لمفهوم السيرة الذاتية و إشكاليتها و قضاياها.

و تشير السندات التأريخية للسيرة الذاتية أن كتاب "طه حسين" قد وضع حجر الأساس أو بالأحرى -حجر الرواية- لأدب السير الذاتية: "و كان أثره في الأدب العربي الحديث أشبه بأثر اعترافات رسو في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر.

إذ يعد النص التأسيسي الأول لجنس السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث و امتد هذا الفن في كل الوطن العربي فكتب الأديب المصري "أحمد أمين، حياتي سنة 1950"، ثم ابراهيم المازني قصة حياتي سنة 1961، ثم لطفي السيد، قصة حياتي1962، و آخرهم "عباس العقاد أنا سنة 1964"، و كذلك "كتاب حياة قلم 1965" كما كتب "توفيق الحكيم سجن العمر1967"، و صدرت "نوال السعداوي كتاب مذكرات طبيبة1965"، و تعد أول امرأة تكتب سيرتها الذاتية.

أما المفكر المصري نجيب محفوظ فقد كتب ثلاث سير ذاتية وهي: قصة نفس، و قصة عقل و حصاد السنين".

و سرعان ما انتشر هذا الفن في البلاد العربية، و منهم "ميخائيل نعيمة" يصدر سيرته الذاتية في ثلاث أجزاء حملت عنوان "سبعون" ثم "نزار قباني"، قصة مع الشعر،كما سجل المفكر المغربي "محمد عابد الجاري" سيرة: حفريات في الذاكرة.

و يخرج الباحث المعروف "إحسان عباس" سيرته :"غربة الراعي" إلى جانب كتابه المهم "فن السيرة"، كما كانت الشاعرة الفلسطينية "فدوى طوقان بسيرتها، رحلة جبل...رحلة صعبة" و كذلك دون الأديب الفلسطيني "جبرا ابراهيم جبرا" سيرته المعنونة بـ: "البئر الأولى" و في"شارع الأميرات".[1]

III- السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر:

أدى التطور الفني للسيرة الذاتية إلى ارتباطها بالرواية التي لم تنشأ من العدم و إنما نشأت في محض التجارب الذاتية، حيث يستعيد الكاتب تربيته الشخصية و يمزجها بالجانب التخيلي فيصوغها صوغا فنيا يتناسب مع متطلبات السرد، لينشأ نوعا جديدا سمي –رواية السيرة الذاتية- و عادة ما يكون هذا النوع الجديد أول ما يستفتح به الكاتب مشواره الروائي، ليكون نوعا على انفتاح قريحته في الكتابة و قد وجد فيها الكاتب العربي عموما، و الكتاب الجزائريون خصوصا ملاذا لبداية مشوارهم الفني، حيث غدت الرواية الجزائرية في معظمها إن لم تكن كلها روايات مادتها الأساسية سيرة الكاتب الذاتية في صورة واقع يتم عنه تدريجيا و التحليق في عالم الخيال الأرحب، ثم العودة إلى هذا الواقع ثانيا للانفصال عنه مرة أخرى.[2]

و من بين الروائيين الجزائريين الذين وظفوا سيرتهم الذاتية في كتابتهم، نجد "مرزاق بقطاش" في "طيور الظهيرة" تعد هذه الرواية سيرة بقطاش في مرحلة الطفولة رغم تعمده الاختباء وراء عناصر الخيال إلا أن القارئ "يستطيع التعرف على نقاط تقاطع الواقع و التخيل، و من جهة أخرى تبرز ذاتية الروائي من خلال بث أفكار إيديولوجية.[3]

[1]- محمد الباردي، عندما تتكلم الذات في الأدب العربي الحديث، 2005ص15-17-19-20

[2]- أحمد حيدوش، السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، ملتقى إشكاليات الأدب في الجزائر، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية باجي مختار، 2005-2006، ص:39.

[3]- سفيتلانا براجو غينا، حدود العصور، حدود الثقافات، دراسة في الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، تر: ممدوح أبو لوي و راتب سكر صنعاء ، 31-01-2000،

إذ تعد كتب "منصور حميروش" ذات أهمية كبيرة مثل: كتاب "حكاية حياتي، و"سير ملكولم الذاتية"، التي تقع مثل أي عمل إبداعي آخر، في متصف الطريق بين الواقع و الخيال فهي عمل إبداعي فني مفيد حتى لأولئك الذين يبحثون عن التسلية، و قتل الوقت و تفيد المستويات الرفيعة من القراء الذين يبحثون عن أهداف الأدب السامية عندما يشعر الأديب برغبة أن يلعب دور شاهد على زمانه من أجل هذه الشهادة يقدم حقائق من حياته الخاصة و آنذاك تخرج الحياة الخاصة عن إطار الفردية لتصبح عامة آنذاك يصبح الخاص عام.[1]

و كذلك كتب "علي بومهدي"، سيرته الذاتية باسم : "قرية البروق 1970"، فهي تعد سيرة حياتية أخرى، و تفصل الفترة زمنية تصل إلى عشرين عاما من تاريخ نشر رواية "محمد ديب" و تاريخ نشر رواية "علي بومهدي" و حدث خلال العقدين من الزمن أحداث عاصفة و لقد تركت أثرها على كيفية معالجة الأدب لموضوع الطفولة، و الشباب في المغرب العربي بوجه عام و في الجزائر بوجه خاص، حيث تتخذ رواية "علي بومهدي"طابعا ملحميا و عدد شخصياتها كبير يرصد الكاتب مصير أكثر من جيل و يتحدث من حياة الكثير عن الأصدقاء، البطل و عن أسر كثيرة تجري في قرية بعيدة و يرسم من خلالها حياة الجزائر من الثلاثينيات و حتى الخمسينيات و استفاد "علي بومهدي" من تجربة النثر في الجزائر في فن السيرة فلقد عمق تصوير الجزائر من الداخل و رسم المصير الإنساني للأفراد و للمجتمع بكامله.

[1]- اسفيتلانا براجوغينا،حدود العصور ،حدود الثقافات،دراسة في الادب المغربي، ص:46.

و قد استفاد "علي بومهدي" من التقاليد العالمية لنشر السيرة و لا سيما تجربة الأدب الروسي، في هذا المجال و اهتمامها بتصوير الشخصية المتطورة بتطور العالم المحيط و بتطور النمو الذاتي، و بذلك أصبحت رواية "علي بومهدي" ذروة الأدب المغربي في فن السيرة و في مجال كتابة الرواية التربوية.

و نشطت كتابة السيرة الذاتية في الفترة التحولات الفكرية، و عندما تكون على عتبة أحداث ثورية فقد ظهر كتاب "قرية البروق" لي علي بومهدي" في الحالة الثورية التي عمت البلاد، فيرى "علي بو مهدي" بأن السيرة لا تصور فردي فقط بل هي تكون أيضا صوت الوطن بأكمله.[1]

و ليس من قبيل الصدفة أن يكتب الأديب الجزائري "مولود فرعون"، الذي يعتبر من أوائل الأدباء العرب في المغرب العربي الذين كتبوا فن السيرة، في مقدمة كتابه "نجل الفقير" الذي صدر عام 1951 أنه قرأ للأديب الفرنسي "جون جاك رسو"، و الروائي الإنجليزي "تشارلز ديكنز" و قرأ أدباء عالميين آخرين و يتمنى أن يقوم بمثل العمل الذي قاموا به و هو أن يتحدث عن حياته الخاصة هي بداية رحلة جادة و استيعاب حقيقي للواقع بالنسبة للأدب في المغرب بوجه عام سمي "مولود فرعون" كتابه رواية علما بأن "نجل الفقير" بحجمه و حبكته أقرب إلى القصة المتوسطة الحجم منه إلى الرواية، و تعالج القضية موضوع التربية الشخصية في ظروف اجتماعية و تاريخية و حياتية معينة.

و من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أن "مولود فرعون" لم يكتب مؤلفات فنية فحسب و إنما قام أيضا بتنفيذ طلب اجتماعي لأن "نجل الفقير" يعتبر بداية سيرة للنشر الفني الجزائري، هؤلاء نحن و كيف نعيش و هذا حلم "مولود فرعون" أن يتحدث عن حياة شعبه بصوت واحد من ممثليه و حقق حلمه بتجربته النثرية الفنية المستقلة الأولى باللغة الفرنسية.

[1]- محمد يوسف مهرص، فن النثر، 1931-1954 (نهضة الأدب العربي في الجزائر)،القاهرة، 16 -03-2010.

و يصور "مولود فرعون في "نجل الفقير" سيرة حياة هذا البطل و بذلك فإن هذه الرواية تنسجم مع روايات السيرة و لها كافة الصفات التي تتصف بها روايات السيرة، و لكل سيرة مميزات خاصة بها لا تتكر ر في السير الأخرى و هو هدف المؤلف من روايته فيرى الكاتب أحيانا أن يضمن عمل أدبي بعض اعترافاته، و أحيانا أخرى يرغب الكاتب في العمق في تكوين الطبيعة الإنسانية بوجه عام و في التغلغل في العالم الداخلي و العالم النفسي.

و الهدف من هذه الرواية يسعى "مولود فرعون" إلى تصوير المجتمع بكامله بتقديم بعض الحقائق عن حياته و لقد استطاع الكاتب بتصويره للفلاحين أن يقدم صورة عاملة للمجتمع الجزائري بكامله و يعمق و بدقة، و أن يقدم لنا الصفات الأساسية للشعب الجزائري، و يصور الكاتب أبناء الفلاحين الذين خرجوا من أعماق الأرض و من حضنها، أنهم أبناء الأرض، البطل الذي لا يمكن أن ينفصل عن أرضه و عن وسطه، كان طريق البطل طريق إدراك الذات كجزء من الكل - الشعب- كان البطل مرتبطا ارتباطا عضويا بو اسطه و هذه الصفة من صفات جنس السيرة.

استطاع الروائي "محمد ديب"، السير خطوة إلى الأمام في فن السيرة حتى من الناحية الإيديولوجية فكما نلاحظ الناقد "جونا شفيلي"، يشكل كتاب محمد ديب درجة أعلى في تطور الوعي الذاتي...، بدلت الناحية الإيديولوجية في الرواية البنية الفنية !!.

إن رواية "محمد ديب" "الدار الكبيرة" (1953)، أكثر عمقا من الروايات الآنفة الذكر لأن الكاتب هنا لا يكتفي بتصوير العالم الخارجي و ظواهر الحياة و إنما يغوص إلى أعماق الحياة الإنسانية و

يركز اهتمامه على تصوير ناحية النفسية في حياة الطفل و ساعدت هذه الصفات الجديدة في فن السيرة على ديناميكية السرد و أعطته عمقا في مجال البحث النفسي.[1]

أما السيرة الذاتية النسوية المكتوبة باللغة الفرنسية في الجزائر يتزامن ظهورها مع التحولات الثقافية الكبرى التي عرفتها الجزائر غداة الحرب العالمية الثانية، ليأخذ هذا الجنس الأدبي أهمية خاصة، و هذا نتيجة لما عرفته البلاد من هيمنة استعمارية أدت إلى استئصال جذور الانتماءات الثقافية الأصيلة، و هذا ما طبع في البدايات الأولى للسيرة الذاتية كتجسيد لمأساة الإنسان الجزائري جزاء الاستعمار.

نبدأها بسيرة ذاتية للحياة الأدبية الجزائرية، "فاطمة آيت منصور أم جان عميروش"، الموسومة بقصة حياتي، histoire de ma vie (1946) و بما يحمله العنوان من وعي من قبل "فاطمة آيت منصور" بأنها تحاول التأريخ لحياتها بقلمها.[2]

أما الكاتبة الجزائرية "مرغريت طاووس" تغلف حياتها بغلاف رومانسي حقيقي، حيث تتحدث الروائية في روايتها "شارع الطبالين" عن حياة أسرة كبيرة العدد و عن مصير هذه الأسرة التي تنتمي إليها بطلة الرواية التي صدرت (1960) و كما تتحدث الكاتبة عن مشاعر بطلة قصتها أن مشاعرها صادقة و عصفة إن هذه الرواية نموذ ج للأدب العربي المكتوب بالفرنسية و المكتوب بيد الكاتبة حول المرأة، و واضح تأثير الأدب الفرنسي على هذه الكاتبة الجزائرية و لا سيما أدب "فرنسوا زاساغان"، و لو أن أحداث الرواية لا تجري في الجزائر لقلنا أن هذه الرواية فرنسية تدور حول الفرنسيين و المرأة الفرنسية كما تصور الأدباء الذين أعطوا لأبنائهم أسماء فرنسية.[3]

[1]- تسفيلانا براجوغينا، حدود العصور حدود الثقافات، دراسات في الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، ص:47-48-50-67-63.
[2]- سمراء جبايلي، الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، رواية السيرة الذاتية مليكة مقدم، أنموذجا، معمر حجيج، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015-2016، ص:82.
[3]- سفيتلانا براجوغينا، حدود العصور،حدود الثقافات ،دراسة في الادب المغربي، ص:36-57.

و لذلك فليس من قبيل الصدفة أن تكتب "طاوس" في فن السيرة و هي في فرنسا فكتبت قصة حياة عندما كانت في المهجر، فكانت الأديبة تعيش بعيدة عن وطنها و كان كتابها ذكريات رائعة حول الوطن البعيد وأعطى كتابها الدفئ للقلوب في الهجرة والامل والعودة الى الوطن البعيداستطاعت الكاتبة الدفاع عن أفكارها بقوة إبداعية نادرة.[1]

كما تتجلي لنا السيرة الذاتية في روايات "آسيا جبار"، الحب و الفانتازيا،

"l'Amour. La fantasia" (1985)، التي تستهلها بالبنت العربية الذاهبة لأول مرة للمدرسة في صباح الخريف يدها بيد أبيها.... متحدية عادة المجتمع إن لغة "ليلى صبار" لا أتكلم لغة أبي "je ne parle pas la langue de man père" سرد سير ذاتي، اعتبارا أن الكتابة التزمت بالخاصية الأساسية للسيرة الذاتية و هي كتابة الواقع.

و كذلك "مليكة مقدم" في روايتها السيرة الذاتية "رجالي، mes hommes"،2005 و هي رواية السيرة الشخصية – أدب السيرة- و هي تاريخ لمراحل و فصول من حياة الكتابة في الجزائر و فرنسا.[2]

و منه نستنتج أن رواية السيرة الذاتية ما زالت إلى يومنا الحاضر هي الأكثر انتشارا في المغرب و لكن في العقدين الأخيرين توسعت إمكانية الرواية في الأقطار العربية المغربية بصفة عامة، و في الجزائر بصفة خاصة، و لذلك نرى من الضروري تقديم تحليل للنتيجة التي توصلت إليها رواية السيرة إذ أنها شكل مناسب لنقل أحداث جرت خلال فترة زمنية طويلة و في أمكنة مختلفة أنها (كتاب الحياة) كتبها المؤلف مستندا عن الذاكرة فأصبحت بالنسبة للكاتب الجزائري أكثر من حكاية عن العمر و الحياة

[1]- سفيتلانا براجو غينانحدود العصور،حدود الثقافات،دراسة في الادب المغربي، ص:59.
[2]- سمراء جبايلي، الصوت النسوي في الجزائر المكتوب باللغة الفرنسية ، ص:83-84.

الخاصة، أصبحت قصة حياة جيل أو أكثر و عصر و ظروف تشكل خلالها الوعي الذاتي القومي، لقد ارتبطت رواية السيرة الذاتية في البداية بوصف الظروف المعيشية مثل "نجل الفقير، لمولود فرعون" و "الدار الكبيرة، لمحمد ديب" و "شارع الطبالين لمرغريت طاوس" و هذه مرحلة طبيعية من مراحل تطور روايات فن السيرة، و سخر الكاتب سيرة حياته لنقل حياة شعبه و بلده و واقعه و كان لابد لرواية فن السيرة من التحدث عمن مرحلة الطفولة كمرحلة أولى في معرفة العالم المحيط، و من هنا جاءت الرغبة في الكتابة حول الطفولة من أجل التأكيد على الشخصية القومية على مفهوم (الأنا).[1]

[1]- سفيتلانا براجو غينا،حدود العصور،حدود الثقافات ،دراسة في الادب المغربي، ص:77.

أ- اللغة:

تعد اللغة العنصر الأساسي في بناء الرواية وتشكيل عالمها الفني إلى جانب العناصر البنائية الأخرى التي تكون منها العمل الأدبي في شخوص و فضاء و بنية زمنية و رؤية سردية و أحداث، فباللغة تنطق الشخصيات و تكشف الأحداث، و تتضح البيئة، و يتعرف القارئ، على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب، برزت اللغة و أهميتهافي السيطرة على الشكل الخارجي للعمل الفني إذ أن الشكل الداخلي يتضح في كل كلمة من الرواية في نوعية هذا الكلام و الصور و الأفكار، و هو في النهاية الذي يقوم بدور حاسم بين الظاهر و الخفي،[1] و تبدو العلاقة بين اللغة و عناصر الأداء الروائي الأخرى علاقة جدلية، فبواسطة اللغة يتعرف المتلقي مثلا: على أعماق الشخصية الروائية التي تحمل أفكار و رؤى، فهو في النهاية الذي يقوم بدور حاسم بين السرد و الوصف و الحوار و المناجاة، و نسيجه اللغوي البديع الساحر يضمن عليه الوظيفة الشعرية، حيث انتقلت لموجبها الرواية الجديدة إلى رواية شعرية، همها الأول و الأخير تحقيق هذه الوظيفة الجمالية دون احتفاء العناصر التقليدية السالفة الذكر.[2]

و لغة الرواية لغة أدبية جميلة، فلا جانب المعنى طغى على الجانب اللفظي، و لا العكس أيضا، فلم تأتي المعاني لابسة لثوب مهلهل يسمع، أو تأتي الألفاظ مزركشة و أنيقة، فقد وظف الروائي في روايته بين النثر و الشعر أحيانا.

نحو : " يا الله يا الشمعة سألتك ردي لي سالي

أشابيك في الليالي تبكي و ما زلت شعيلة.[3]

و كذلك قوله:

أشريلي حلوة شباكية

وحدة ليك وحدة ليا.[4]

و زد على هذا كانت اللغة الرواية تتكئعلى رؤى و أفكار بليغة مستو حاة من أطباق البلاغة العربية و إرثها الصوفي المتين، و فيض إلهيا، و كذلك الاقتباس من القرآن الكريم و الحديث الشريف مثل: "الله نور السموات و الأرض" فيقول: "نوره كمشكاة فيها مصباح" و أيضا: "ربي أرني كيف تحي الموتى".

---

[1]- عبد الرحيم حمدان، اللغة في الرواية، تجليات الروح لمحمد ناصر، مجلة الجامعة الإسلامية، مج16، العدد2، 27-08-2007، كلية فلسطين التقنية، فلسطين، ص:104.

[2]-بعطيش يحي، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية، قسم الأدب و اللغة العربية، العدد8، جانفي2011، جامعة منتوري، قسنطينة.

[3]- واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص:95.

[4]- واسيني الاعرج،سيرة المنتهى ، ص:97.

و كذلك توظيف اللغة الجزائرية الدارجة في الرواية إضافة إلى اللغة العربية الفصحى، مثل: "واش بيه الوليد يا لالة، يبدو مريض، شوية الضرسة و جعتو هذا ما كان"[1]

و أيضا "ماشي عارف سروالك من سروالي نظم روحك شوية".[2]

Hevrevse ment qu'i lga le reve [6]. est

Pas mais maniseur monseur le mouton ce n'est[3]

و منه نلاحظ أن الروائي "واسيني الأعرج" دمج رواية بين اللغة البلاغية العربية و الدارجة الجزائرية بالإضافة إلى اللغة الصوفية، كذلك اللغة الفرنسية، و هذا يتميز به روايات "واسيني الأعرج".

ب- الصيغة:

تعد مقولة الصيغة السردية واحدة من أهم آليات الخطاب الروائي، و إحدى أهم عناصره التي تقوم عليها و التي تكسبه بعده الخطابي، و أهمية الصيغة السردية في الخطاب الروائي مردها إلى ارتباطها بأشكال و أنماط الخطابات المتباينة التي تشكل المتن الروائي،هذا الأخير يجمع بين دفتيه ألوانا من الخطابات المتنوعة يألف بينها و يذوبها جميعا في بناء كلي هو النص الروائي.

و ينطلق الناقد العربي "سعيد يقطين"، في تصنيفه لأنواع صيغ الخطاب السردي من معيارها يتمثل في تبادل الأدوار الحكائية بين الراوي و شخصياته، و يؤكد على وجود صيغتين كبيرتين و هما السرد و العرض و تنطوي تحت كل وحدة منها صيغا.[4]

أنماط الصيغ في رواية "سيرة المنتهى".

تحتفي رواية "سيرة المنتهى"، تنوع صيغتها السردية و انصهارها في بنية الرواية، و سنحاول في هذا الجزء الوقوف على أشكال و أنماط الصيغ، (المسرودة، و المنقولة) و حضورها في النص، كما سنحاول التعرف على كيفية اشتغالها في الراوية.

الخطاب المسرود:discours warratisé

يعدد هذا النمط أكثر شيوعا و انتشارا في النصوص السردية، و أبعده مسافة عموما يمكن أن نعتبره حكي أفكار أو خطابا داخليا مسرودا، و يتميز هذا النمط بـ: (ارتباطها بالعنصر الزمني، ارتباطا وثيقا)، تهيمن صيغة المسرود الذاتي على قسم هام من النص الروائي و هو خطاب يتكئ على الذاكرة، و هذا النوع من

[1]- واسيني الاعرج،سيرة المنتهى، ص:100.
[2]- واسيني الاعرج،سيرة المنتهى، ص:130
[3]- واسيني العرج،سيرة المنتهى، ص:143.
[4]- واسيني الاعرج،سيرة المنتهى، ص:157.

الصيغ يستعملها الراوي مر كزا على ذاته فالذاكرة تربط السيرة الذاتية بماضيه، لتكون لحظة بوح بكل العواطف و الانفعالات التي كانت في زمنها البعيد، و لعلى أشد الذكريات إلتصاقا بالنفس هي من زمن الطفولة.[1] و هذا ما حمل واسيني على سرد مرحلة الطفولة لتكون فيها على نوعين: نفسية و مكانية.

1- **الذاكرة النفسية:** هي المتعلقة بالعواطف و الانفعالات، حيث توجد أحداث جد مهمة في مرحلة طفولته لم تغادر ذهنه.

مثل: حبه للغة العربية و القرآن الكريم و ذهاب نحوهما في سن مبكرة و هذا بفضل الجدة "حنا فاطمة"، التي سعت جاهدة لإرساله إلى الكتاب لتعلم اللغة العربية برغم من منعها من طرف المستعمر الفرنسي.

2- **الذاكرة المكانية:** هي المتعلقة بالمكان، إذ يلعب المكان في نصوص السيرة الذاتية التي تحكي تجربتها، ومن ثم قربها من الواقع إنها استعادة لحيوية ذاكرة تبحث عن ذاتها الحميمية و تستلها من ذاكرة المكان، فكان واسيني الأعرج، شديد الارتباط و التعلق بالكتاب الذي تعلم فيه اللغة العربية و االقرآن الكريم و هو له ذكريات مكانية في كل زاوية من زاوية الكتاب، و كان حريصا جدا على وصفه وصفا تفصيليا ليبين تأثره و حبه الكبير لهذا الكتاب.

الخطاب المنقول:le piscours appurté

تقتضي العملية السردية إدراج خطابات أخرى غير خطابات الراوي، و يعد ذلك عبر فتح المجال الشخصيات الروائية، بأن نأخذ مكانها على مسرح الراوي، تمارس دورها التلفظي إلى جانب دورها الفعلي، ما يصيغ الخطاب الروائي بصيغة التعدد و ذلك تتناوب الوظيفة السردية التي يقوم بها الراوي مع الوظيفة التمثيلية التي تؤديها الشخصيات و هو الشكل الأكثر محاكاة، و السارد في هذا النمط لا يسلب الشخصيات وجودها، المتمثلة في فعلها الكلامي، بل نجده يتنازل لها على بعض سلطانه، و يتحول إلى مجرد شاهد ينقل بكل أمانة ما يتلفظ به، و من مؤشرات هذه الصيغة و هو وجود الضمائر الفردية من الكلام المتلفظ به نحو(أنا، أنت). إضافة إلى الأفعال التي لها دلالات الحاضر، و الأقل مظهرا من مظاهر التجربة المعاشة، التي تأخذ القارئ مأخذا محترما و تقلل من عدم الثقة إضافة إلى حضور بعض القرائن الشكلية كالمطة، و الأقواس، و التي تفصل خطاب الراوي عن خطاب الشخصيات.[2]

[1]- عيسى بالخياط، تقنيات السرد في رواية البيت الأندلسي، لواسيني الأعرج، سليم بتقة، محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص:51.
[2]- ينظر: أحمد جبدوش، اللسيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، ملتقى إشكالية الأدب في الجزائر.

مثل: (محمد بن أمية صاحب الأندلس و غرناطة).[1]

مثل: - هذا يعني أنك لست في حاجة إلى جدك.[2]

وقد اختار واسيني الأعرج أسلوبية صيغية سردية مبتكرة في كتابته لسيرته، حيث تحفر "سيرة المنتهى" في أعماق الذات و هي تستحضر حياة في أتون من حكايات الجدات و الأمهات و قصص المواجع، و البيئة القريبة و البعيدة.

فسيرة واسيني، هي سيرة سردية أدبية خاصة بفضاءات الأمكنة و العلاقات و التجارب العديدة متزينة بحلية التاريخ يصوغ منها مكنون دواخله إنسانية في ترانيم شاعرية مليئة بالدفء و الحميمية في انحياز إلى الثقافة الأندلسية بحثا عن أجوبة الأسئلة الصعبة في هذا الزمن المعاصر.[3]

ج- التيمة:

يعد النقد الموضوعاتي من المحاور التي عرفت توجها جديدا في سياق تطوير آليات الدراسة النقدية في مجال البحث الأدبي و لعل تطور الخاص (التيمة، sujet) يتحدث عنها الكاتب في إبداعاته بصورة واعية، إلى مستوى آخر يعني بترصد شبكة الهواجس التي تشغل الحيز الكبير و المركزي لدى الكاتب ما من الكتاب، و هو من ناحية يتجه بصورة أساسية للنقد مستويات الأفكار المكونة لمجموع العلاقات التي تسمح بهيكلة كل ما يشمل به النص الأدبي عبر تفرعاته الناتجة عن استدعائه لمختلف مستويات مظاهر الحياة الاجتماعية و النفسية، و الفكرية لدى كاتب ما.[4]

و كلما توغلنا في قراءة رواية "سيرة المنتهى" سنجد أنها رحلة التيه و التناهي لكل التجليات، سنرى قيم وجودية تؤسس لماهية الكيان الإنساني، و يتم هذا بتفكيك الحكايات الصغيرة الجانية، فتيمة التسامح، نجدها تتشعب في أبعاد كثيرة و قيم واعية مؤلمة و ملهمة، فنجد الراوي قد نشأ كما علمه جده الأعظم أن الإنسان إنسان لا شيء، يفصله عن ذلك لا دين لا عرق لا مادة و تيمة التسامح تتمثل عند الروائي في قبوله الآخر و التعايش معه نحو في الرواية "كشلالات النور يسبق الأفكار الغزيرة"[5] والتسامح الديني تتجسد في مرافقة جده بعد رحلة التعرف على الذات، بعد مغادرة الروح الجسد نجد ثقافة التسامح واضحة حين يستدعي واسيني في مشهد تحضير الموت و هو يمسك الوردة البيضاء و الوردة الحمراء و الناس الملتفين حوله في شكل

[1]- عيسى بلخياط، تقنيات السرد في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج، ص:56.
[2]- واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص:29.
[3]- واسيني الاعرج،سيرة المنتهى، ص:30.
[4]- ينظر رزاق ابراهيم، نرجسية الأنا و حرية التعبير.
[5]- أمال السعودي، حداثة السرد و البناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، كلية محمد بوضياف، مسيلة، 14-01-2009، ص:41.

دائرة، إذ نجد في الدائرة الأولى الصوفي بقبعته الخضراء و أناشيده الخاصة، و في الدائرة الثانية نجد الكنسيون بألبستهم السوداء الفضفاضة، و في الدائرة الثالثة المسلمون الذين يلبسون الأبيض الذين يتمسكون بالفرق التلمسانية، و هكذا جمع بينهم الروائي مؤمنا بحق التسامح و التعايش و الحرية و الحياة.

و من صور الحرية و التسامح تركيزه في سيرته الذاتية على أنه في كل رحلة يسمع تراتيل القرآن، إضافة إلى الأناشيد أخرى باللغات العبرية و اللاتينية فيقول "ورثه" دين جدي، الذي أوصاني بدين جده، الذي ورثه أجداده، فوجدتني في كل الأديان"، و منه أن الروائي متسامح متقبل تعايش جميع الأديان، مؤمن بالإنسانية.[1]

تيمة الموت:

اختار واسين الأعرج تيمة الموت، في روايته، للالتحاق بمن يحبهم لأن كل من يحبهم قد ماتوا، لذا جعل واسيني من الموت وسيلة للالتحاق بمن يحب، و هذه الأخيرة تيمة بارزة في الرواية، حيث يتخيل فيها الكاتب انتهاء حياته و صعود روحه، بينما في رحلتها إلى دار الآخرة، يقابل شخصيات عاش معها في الحياة فيصحبها برفقتهم إلى مقتطفات من ناحيتهم و حياته.

تيمة الحب: تعد تيمة الحب من التيمات التي لا تكاد تخلو منها روايات واسيني، فالحب طرف أساسي في حياة واسيني و هو عنصر أساسي في الرواية، فنجد المرأة التي يحبها حاضرة بقوة في سيرته يتفنن في رسمها فيرسمها وديعة ناعمة طاعية الأنثى جميلة محبوبة، و لكن رغم كل هذا أنها تبقى مصدر قلق و هي دائمة تخفي شيئا.[2]

[1]- واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص:45.
[2]- ينظر: أمل القيتامي، ملتقى الإثنينة، أسئلة الجمهور، 13-04-2015.

مقومات السيرة في الرواية:

الشخصيات:

تشمل بصفة عامة الأفراد الواقعيين أو الخياليين الذين تدور حولهم أحداث الحكاية أو القصة على أساس أنه لا يوجد فعل بدون فعل بدون فاع، و أيضا لا يوجد سرد بدون شخصيات.[1]

و الشخصيات المحورية تتمثل في أسرة الكاتب و أولهما شخصية المؤلف.

شخصية المؤلف:

و هي الشخصية الرئيسية التي تدور جميع الأحداث و الشخصيات في فلكها، و في الوقت نفسه ترتد انعكاسات أفعال الآخرين، فتترك أثرها في حياتها، و المتمثلة في الروائي نفسه "واسيني الأعرج".

الجد الروخو:

و يمثل الجد الروخو في الرواية هو الميراث الثقافي و الحضاري و هو الانتماء إلى بؤرة النور التي تنتمي إليه.[2] و هو الجد الأول الذي كانت تروي عنه الجدة و هذا الجد الأول لم يتعرف عليه لم يراه، و هذا الجد الذي يلعب دورا في حياته و تاريخه، إذ يمثل الجد الروخو جد رمزي حقيقي على الأقل كما كانت تروي له الجدة.

الجدة:

تمثل الجدة في رواية واسيني الأعرج، المعلم الأول – حنا فاطمة- و هي سيرة الحكايات اللذيذة الجدة التي تربى في أحضانها، و أخذت مكان أمه في مواقف عديدة في لقائه بجده الأول، و تمثل

[1]- بعطيشي يحي، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية.

[2]- رزان ابراهيم، نرجسية الأنا و حرية التعبير، واسيني الأعرج، جامعة البئر، الأردن، 31-03-2010

شخصية استثنائية في حياة الروائي، و الجدة هي المعلم الأول، حيث كان لها دور كبير، فتعلمه اللغة العربية و حبه لها، حيث جعل الروائي جدته المعلم الوحيد الأول و يضيف أن الجدة كانت أذكى من الجميع.

الأم:

تمثل الأم في رواية "سيرة المنتهى"، شخصية عظيمة "ميما ميزار"، حيث أخذت الأم العظيمة دور الأب في رعاية أبنائها، و التكفل بأفراد العائلة، من توفير حاجات الأبناء، و كانت تعمل منظفة للبيوت و المنازل من أجل إعانة أو لادها و تربيتهم.

الأب:

برغم من تربية الكاتب مع إخوته دون أب، إل أنه يحاول أن يمنح الفرصة لوالده حتى يعوض الفراغ و يعطيه المجال للحديث معه، فجأة رأيت والدي ظل جالسا يقوم بهدوء و ألم على كرسيه الجزء العلوي من كتفه كان ينزف"،[1] و هنا في رحلته استطاع أن يقابل والده و يتحدث معه رغم أنه فقده و هو صغير.

مينا:

تمثل "مينا" في الرواية الحب الأول و الوجع العميق و الذكرى الراسخة، و كانت الفتاة التي يحكي لها قصصه، ثم تتوالى الشخصيات في الرواية و منهم: الأخ عزيز، و الأخت زوليخا، و إلى هؤلاء تأتي النساء اللواتي وسمن روح و جسد الكاتب المتخيلة منهم، ذات الشعر الأحمر و الواقعية "مينا"

[1]- واسيني الأعرج، يرة المنتهى، ص:96.

شافية قارة، و كذلك في المعراج الصوفي تتوالى الشخصيات: ابن عربي، و مولاي السالك، و اليهودي ميمون بن يعقوب.

ب- الاسترجاع:

يقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، و هو عكس الاقتباس، وهذه المخالفة لحظة الزمن تولد داخل الرواية نوعا من الحكاية الثانوية، و لا الاسترجاع (موضوعيا objective، أو ذاتيا)، (غير مؤكد subjective) أما وظيفة في هي غالبا تفسيرية، تسليط الضوء على ما فات أو غمض من حياة الشخصية في الماضي أو ما وقع لها غيابها عن السرد.[1]

فتكون بداية الاسترجاع، حيث تحدد بعض الأحداث التي قدمها بالاسترجاع، و بحكم أنها تخصه فإنه ذكرها بكل تفاصيلها، و هذا ما ساعده على ترسيخها بذاكرة حتى يستطيع الحديث عنها و يصورها في روايته ليفتح المجال أمام القراء حتى يعرفون حياته.

و كان الاسترجاع في رواية "سيرة المنتهى" من بين ذلك أيام طفولته و دراسته، حيث تحصل على شهادة التعليم الابتدائي: هل لعمتي أميزار ابن اسمه واسيني، نعم و لكنه، لم ينجح في السيزيام، و هذا الخبر جاء بعد قراءته لفحة الجريدة المعلن فيها عن قائمة الناجحين".[2]

و قد ظن "واسيني" أنه لم ينجح في شهادة التعليم الابتدائي، و لكنه كان موجود في صفحة خاصة لأبناء الشهداء، فجأة عثر على اسمه من بين الناجحين.

و في سن المراهقة و أيام دراسته بالثانوية، و علاقته الغرامية مع الفتاة التي أحبها "بعفوية حكيت له قصتي مع صديقتي شافية قارة التي أشعر أنها تحبني و لكنها لا تتكلم و أنا أيضا لا

[1]-السيرة الداتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
www.wekepedia.com.2016-12.0622 :30,.

[2]- واسيني الأعرج، ، سيرة المنتهى، ص: 89.

أتكلم"،[1] فهذا الحديث المتعلق به شخصيا حيث كان تلميذ في الثانوية بن زرجتبتلمسان و التقى بابن عمه "رامي" الذي سأله عن علاقته بالبنات ليجيبه بعفوية أنه يحب فتاة اسمها "شافية قارة".....

فالاسترجاع أو (فلاش باك) هو مصطلح سينمائي كتجربة الارتداء و بمعنى (خشبة التذكير) بالماضي، و هنا يكون التذكير بالماضي حيثيقوم الراوي بذكر حدث سابق لم يتطرق إليه لغاية فنية كرغبتهبمنح الزمن الحاضر مع الماضي، أو التدخل بينهما و محاولة التجديد في السرد و يمكن أيضا في محاولة لإقناع "شافية قارة" بأنه يحبها، فقد تعرف على فتاة تدعى "مينا" كانت تعمل بالماخور، و كان يزورها كل يوم، حتى وقع في حبها، و بتعرضه لحادث مرور لم ينشأ أن يذهب لزيارتها و هو مصاب برجله.

"رفضت أن تراني مينا في حالة يائسة"،[2] فقد ارتبط هذا الحدث بذاكرته و هو يخص حياته يوم صدمته سيارة كسرت رجله و منعته من المشي.

الاستباق:

"هو ذكر الحدث قبل أوانه قد يكون في العنوان، يخبرنا بطابع الحكاية فهو شائع و السارد المتماثل حكائيا، حيثما يشرع في حكاية حياته الماضية هو ما يعرف ما ستؤول إليه، و لهذا من حقه أن يذكر كل الوقائع قبل وصول وقتها".[3]

[1]- واسيني الأعرج، ، سيرة المنتهى، ص: 188

[2]-واسيني الأعرج، ، سيرة المنتهى، ص:188.

[3]- جيرارد جونيف و آخرون، نظرية السرد من وجهة النص إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى منشورات الحوار الأكاديمي، و الجامعي، ط1، 1989، ص:124-125.

فيقول في روايته "عندما يأتي ذلك الموت، أبق كما أنت لا تهتم بأي شيء آخر، إذا كانت إرادتك قوية ستصل براحة و إذا نعيت بسرعة و رجعت في منتصف الطريق أعرف أنك أخطأت المسالك"،[1] حيث أمرته جدته أن ينتظر يوم لقاء جده، و كانت تنصحه بالصبر و التحلي بثقة النفس، و عليه مواصلة الطريق، و اعتبار أنه يحكي عن نفسه، فإنه حر في وضع الأحداث التي يختارها، و من حقه اختيار ترتيب لها، و كذلك بإمكانه إمداد القارئ بمعلومات تخص مستقبل روايته حتى يخلق له جوا من التشويق و الرغبة في الانتصار لقراءة الأحداث المتبقية.

قبل بلوغ نقطة اللقاء مع جده، استطاع أن يذكر أن اللمسة كانت تخصه هو: "اللمسة الأخيرة كانت لمسته".[2]

و هذا بمعرفته التامة أن من ينتظره الذي تحدث عن إنقاذه له يوم تسلق الجبل و أن اليد الذي لمسها هي يده، و هذا بتوافق مع ذهن القارئ، و يفك الإبهام الذي ينتاب المتلقي أحيانا.

كما أنه استبق الأحداث يوم أمره جده بغلق عينهو النظر لرؤية غرناطة و هي تسقط: "تعمق في نظرك و بعدا أغمض عيناك إذا شئت و سترى المدينة التي حدثتك عنها"،[3] هذا الأمر جاء من طرف جده حيث كانت للروائي رغبة في رد الاعتبار للمسلمين في روايته، و كانت أمنية رؤية غرناطة أيام سقوطها، و هذا بعد الندم عليها و الأمنية الكبيرة التي تمناها بأن تكون غرناطة لا زالت مشيدة و لم تتعرض للدمار على يد الاسبان و بعد بلوغ الراوي المرحلة الأخيرة من رحلته أراد أن يجعل مكانه الأخير كي يرتاح فيه، "انتهت الرحلة الآن، و آن الأوان أن تجد هذه الروح الطيبة و العاشقة مستقرا

[1]- سيد اسماعيل ضيف الله، آليات السرديين الشفاهية و الكتابية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2008، ص:168.
[2]- واسيني الأعرج سيرة المنتهى، ص:27.
[3]- واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص:34.

لها"[1] و هنا يكون الشيخ ذو اللحية البيضاء هو من أخبره بذلك، حيث السارد بعلم ما سيأتي في رحلته، و أنه هو الأولى لنقل الأحداث، فلقد استطاع أن يختار لنفسه مكانا يتمناه كل إنسان على وجه الأرض و هو الدخول للجنة.

"وراء هذا المعايير مطلق لا تضاهيه أية قوة حيث يصبح الإنسان جزءا من الملكوت الأعظم، نور على نور"،[2] و في هذا يكون الحديث عن الرحلة الآتية التي بلغها الروائي و هي التي يعجز كل واحد عن وقفها، فقد تحدث عنها قبل وصوله، و بهذا استطاع أن يتخطى حدود الواقع و يختار لنفسه حياة خاصة و في عالم غيبي، و جعل مستقرة في مكان لم يره أي إنسان، لكن الراوي باعتبار هذه الرواية تخص حياته فقد تمكن من صفة المكان الذي يسعى من أجله و بذل كل ما لديه من أجل الوصول إليه.

الزمان:

يعرف الزمان على أنه: "من العناصر المهمة في تشكيل النص الروائي و منه تنقل أبرز التقنيات السردية، حيث يفرق بين زمان الحكاية التي تعرض مجموعة أحداث الحكاية بطريقة علمية حسب النظام الطبيعي الخارجي.[3]

و منه يعد الحديث عن زمن حياة الروائي و كذلكتاريخ الأحداث التي ذكرها كانت كلها مقترحة من طرفه، و لكن الزمن المرجعي للحكاية هو القاعدة الثابتة و المعيار الذي يقاس عليه زمن السرد،[4]

[1]-.
[2]- واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص:314.
[3]-.بعطيش يحي، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية.
[4]-.هيثم الحاج علي، الزمن النوعي و إشكاليات النوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي، 2008، ص:43.

و قد اعتمد الكاتب واسيني في هذه الرواية "سيرة المنتهى" اعتمد على الزمن الماضي بكثرة، و أحيانا يكون الحاضر حتى يجعل القارئ، أمام صورة مباشرة، و بحكم أن حياتنا كلها مرتبطة بالزمن حيث يدخل الزمن في بنية الرواية من خلال أن العمل الروائي يخلق و يقدم صورة الحياة عن طريق شخصيات أو بأخرى و يقدم صورة للحياة عن طريق شخصيات معينة، و أحداث بالذات تقع في زمن معين و مكان معين، و إن كانت مكانتها تتجاوز ذلك المكان و الزمان.[1]

الزمن الطبيعي المقاس بالساعات و الأيام، و يطبق ذلك في الرواية من حيث تحديد الزمن المعين الذي تقع فيه الأحداث و يرتبط بالمكان المناسب له، و هذا واضح عند الكاتب "واسيني الأعرج"، عندما يتحدث عن رحلته في العالم الآخر فقد قال: لم تكن المعايير بالقسوة التي تصورتها إلا مرة واحدة، حينما فقدت الاتجاه الأسلم فجأة".[2] و كان هذا في رحلته التي بدأت من الجيل الأعظم، و قام بتسلقه للوصول إلى القمة، فقد كان خائفا من تلك المرحلة إلا أنه توصل في الأخير أنها لم تكن صعبة كما كان يتصورها.

و لعل ما يتضح من هذه السيرة أنها جاءت تشكل حلم، حيث كان لها زمن خاص بها، و هو الزمن الماضي المستحضر بالذاكرة.

المكان:

يكتب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث، و تتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيه من حوادث و شخصيات، و ما بينهما من علاقات، و

[1]-عب المنعم زكريا بالقاضي، البنية السردية في الرواية، تقديم بلهواري أحمد ابراهيم عين الدراسات و البحوث الإنسنية و الاجتماعية، ط1، 2009، ص:103.
[2]-واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص:21.

يمنحها المناخ الذي تفعل فيه، و تعبر عن وجهة نظرها، و يكون هو نفسه المساعد على تطوير بيان الرواية، و الحامل لرؤية البطل، و الممثل لمتطور المؤلف، و بهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة.

يظهر المكان في الرواية متلازما مع الزمن من جهة و مرتبطا ارتباطا شديدا بالشخصية الروائية من جهة أخرى، و قد برزت هذه الأخيرة عنصرا أساسيا في تحريك و تشكيل ملامحه، من خلال حركتها الكثيفة و حواراتها المتنوعة، و أيضا استرجاعها الممتد من الماضي إلى الحاضر.

لا تبدو الأمكنة في عين الروائي "واسيني الأعرج" إلا بما يمكن للغة أن تخلفه، فالمكان ابن اللغة التي تسربت إليه حكاية بعد حكاية فذلك جده الموريسكي صاحب الكتبة في غرناطة، صاحب المكتبة في غرناطة، الذي تشبث بمكانه تحت عسف محاكم التفتيش، و لكن مما إن أحرقت مكتبته حتى قرر: "لن أبقى في مدينة تحرق الكتب"، الأمكنة لدى "الروائي واسيني الأعرج"، مرتبطة بحرية البقاء و حرية مغادرتها.[1]

القرية:

تمثل القرية التي ترعرع فيه الروائي "وسيني الأعرج" "قرية سيدي بوجنان" الحدودية بولاية تلمسان، فهذه القرية الصغيرة البسيطة شكلت في السنوات العشرة الأولى من عمره بنية أساسية اتجاه اللغة العربي، حيث يقول الروائي"هي لحظة طفولية حاسمة".[2]

[1]- جوادي هنية، صورة المكان و دلالاته في رواية واسيني الأعرج، صالح مفقودة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012-2013، ص:366-371.

[2]- فاروق مردم بك، عالم واسيني الأعرج الروائي غير محصور ببلد، المشاء، الجزيرة، 30-10-2014.

المدينة:

تمثل المدينة خروج من النظام الضروري الصارم، فنجد في روايته عندما يخرج من القرية إلى المدينة "تلمسان" حيث تمثل هذه الرحلة إلى تلمسان أو الانتقال من القرية إلى اكتشاف المدينة اكتشاف شيء لا يعرفه و الروائي، حيث تتكون لديه مجموعة من المشاعر و تتمثل في شعوره بالخوف و الحب، و تنمو هذه المشاعر مع معايشة للحظات الواقع و كذلك مقابلته لناس المدنيين.

الجبل:

و يذكر الروائي في روايته "الجبل الأعظم"، و هذا الأخير يدل في روايته على الشموخ و الأناقة و الكبرياء، و الجبل الأعظم من أهم الأماكن التي حاول الروائي الوصول إليها مع جده الروخو، الذي كان مركز للانتقاء بجده، فيقول: "أخيرا وصلت إلى جبل النار بتعزاو"[1]

الماخور:

يرتبط مكان الماخور بالمدينة، مكان الحريات و المتناقضات، و هو مكان للانفلات الأخلاقي و الخيانات الزوجية، حيث يرتاد هذا المكان الرجال النافذين و غيرهم، طلبا للمتعة أو دفن المكبوتات، و بالمقبل ترتاده النساء لكسب المال.[2]

و تتصل دلالات الماخور في الرواية على، ذهاب الروائي "واسيني الأعرج" لترفيه عن النفس و البحث عن المتعة و لزيارة صديقته التي أحبها "مينا" التي تعرف عليها في الماخور، فيقول: "رفضت أن تراني مينا في حالة بائسة".[3]

[1]- فاروق مردم بيك، عالم واسيني الأعرج الروائي غير محصور ببلد.
[2]- واسيني الأعرج، سيرة النتهى، ص:21.
[3]- نيهان حسون السعدون، قصص علي الفاهدي، ص:03.

و منه الأمكنة التي وظفها الروائي في رواية "سيرة المنتهى"، حيث أن هذه الرواية حلقت متداخلة من سيرة الماضي و الحاضر و المستقبل، سيرة المتأمل و المشتهى، فهي سيرة المكان و الفكرة، سيرة يغلب عليها الألم و يزينها الأمل و يغلفها الحب.

خاتمة عامة:

تدعونا هذه الخاتمة إلى حصر أهم نتائج البحث التي أسعى إليها، و يمكن أن نلخص البحث بدءا من الجانب النظري وصولا إلى استثماره في تحليل رواية "سيرة المنتهى"لواسيني الأعرج، و هي كالتالي:

1- إن السيرة الذاتية عمل سردي يجمع بين الإمتاع و الأخبار، و تتناول حياة كاتبها، إذ يبق جانب الصدق فيها نسبيا، لكن شرف التصريح بالميثاق الذي يحقق التطابق بين الشخصية و المؤلف/ السارد.

2- تداخل السيرة مع أجناس أخرى إذ يصعب التمييز بينها كاليوميات و المذكرات و الاعترافات و الرواية....إلخ.

3- تتعد أشكال التعبير الفني (حسب الصيغة) للسيرة الذاتية و حسب طبيعة النص.

بدايات ظهور جنس السيرة الذاتية عند الغرب ثم عند العرب و حظها في الجزائر و خلاصة القول هو أن السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر، قد حظيت باهتمام مجموعة من الأدمباء الكبار و على رأسهم "واسيني الأعرج"، إذ أن العمل الإبداعي في "سيرة المنتهى"، قد حقق الكثير من خصائص الرواية و ما تتبعه من حرية مطلقة في الكتابة، و بين السيرة الذاتية التي استمد منها أجزاء الماضي متمردا على نوعها في تعاقد مظلل مع المتلقي، فنأمل أن يكون هذا البحث المتواضع بداية البحوث مستقبلة، ترصد للمظاهرة بالدراسة و التحليل، و تزيلا الستار عن جوانب خفية.

فإن أصبنا فمن الله و إن أخطأنا فمن أنفسنا و من الشيطان.

تعريف الروائي واسيني الاعرج:

مولده ونشأته :

ولدفي الثامن من شهر اوت سنة اربعة وخمسون وتسع مئة وألف بقرية سيدي جنان الحدودية ،إحدى ضواحي مدينة تلمسان

تعليمه :

تلقى مراحل تعليمه في الجزائر ونالى الدكتورة من جامعة دمشق

محطات مهمة في حياته:

إستشهد والده اثناء الثورة التحريرية سنة 1954

انتقل الى مدينة تلمسان ثم مدينة وهران ،عمل صحفيا ومحرر ومترجما للمقالات

صدرت له رواية ً جغرافيا الاجسادً سنة 1974

الوظائف التي شغلها:

درس في جامعات عربية وأجنبية ،وأشرف على فرق البحث العلمي أهمها:فرقة الرواية ،المجتمع والاشكال

كما أشرف على إصدارات عديدة ،ويشغلها اليوم منصب استاذ كرسي بجامعة الجزائر والسربون

اوسمة وجوائز نالها:

حصل في سنة 1989 على الجائزة التقديرية من رئيس الجمهورية

نال جائزة قطرالعالمية لرواية على رواية "سراب الشرق "

حصل 2006 على جائزة المكتبين على رواية "الامير "

حصل 2007 على جائزة الادب الشيخ زايد

*مؤلفـاته:

- الليلة السابعة بعد الالف /-شروفات بحر الشمال/-حارسة الضلال /-ذاكرة الماء /- كتاب الامير/-- سوناتا اشباح القدس

ترجمة اعماله الى العديد من الغاتالاجنيبة من بينها الفرنسية ، الالمانية ، الايطالية

***ملخص الرواية :**

يقدم الروائي وسيني الاعرج" لروايته " سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني " بثلاث مقبوسات :اولهما حديث الاسراء وثانيهما كتاب المعراج وثالثهما طريق الى غريقو

فيعلن الروائي انتمائه الى جده ذو الاصول المورسكية فسرد سيرته فقالب روائي وتسجل الرواية لحظة انخلا ع الكاتب من الدنيا والتحاقه بالشيخ الاكبر فيما تشيد الرواية السردية واولهما هي حكاية الجد البعيد وكذلك مما يحفظ الكاتب من طفولته التي يطغى حظورها في الرواية حيث تمثل الشخصيات الرئيسية اسرة الكاتب والنساء التي احبهن ويختم الكاتب الرواية بفصل (بعض ماخفى من سيرة عشتها كماإشتهتني)،وهو ماجاء شاهدا على روايته كما يرى الكاتب ان السيرة الذاتية جوهرها هي محاولة التقرب الى الجهد الذي تجعلنا نحب الحياة ونفهمها قليل .

ملخص:

حولنا من خلال هذا البحث الوقوف على السيرة الذاتية في الادب الجزائري المعاصر ، وتبعا لهذا قسمنا بحثنا الى ثلاثة فصول : تناولنا في الفصل الاول تعريف السير ة وسؤال الاجناسية والتعبير الفني لها السيرة في الادب الغربي ثم العربي ثم في الادب الجزائري و الفصل الثالث فصل تطبيقي لرواية سيرة المنتهى لواسيني الاعرج .

Le resume

Le theme du titre pilcheigougfiquenoum avent set recherche sur labiugrphiealgerierdouslittertirepemporaine sou nous timitoumoh noterrchreche sou 3chpitrtc 1chpitrtc de sou nouitrtie de di fenisoue de la pelrougrp al et diexpressiounsoushevaichet et rases et 2chpitrc la titteraperooussidentale et arabe et algrer et 3chpitrc roumanlapplcatecateoumdounocilocssaouripilcheigughri de auttemate et ouassinaareg .

قائمة المصادر و المراجع.

- **المعاجم:**

1- أبو فضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار النصر، مج4، ط1، بيروت، د.ت.

2- اسماعيل بن حمادة الجوهري الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية، دار العلم للملايين، مج7، ط4، بيروت، 1990.

- **المصادر:**

1- واسني الأعرج، سيرة المنتهى عشتها كما اشتهيتي، دار الآداب، ط1، طبعة خاصة، نوفمبر، 2014.

- **المراجع:**

1- أحمد سيد محمد، روايةالإنسانية و آثارها على الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1989.

2- أمل التيميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، ط1، دار البيضاء، 2005.

3- تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، بيروت، 2002.

4- عبد الغني محمود، فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون، أزمنة للنشر و التوزيع، ط1، عمان، د.ت.

5- عبد الدايم يحي ابراهيم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، د.ت.

6- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، د.ط، الشركة المصرية لونمان، مصر، 1992.

7- عبد الرحمان بدوي، الموت و العبقرية، دار العلم، ط1، د.ت، بيروت،

8- عوض يونس، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، معهد الدراسات العالمية، د.ط، القاهرة، 1962.

9- عدنان علي محمد السريم، الخطاب السردي في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2015.

10- سيد اسماعيل ضيف الله، آليات السرديين الشفاهية و الكتابية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2008.

11- فوزية الصفار، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، كتاب سبعون لميخائيل نعيمة أنموذجا، د.ط، تونس، 1999.

12- محمد عبد الغني حسن، التراجم و السير، دار المعارف، ط2، مصر، دت.

المجلات:

- نيهان حسين السعدون، قصص علي الفاهدي، مجلة دراسات موصلية، العدد72، 2009.
- عبد الرحيم حمدان، اللغة في رواية تجليات الروح لمحمد ناصر، مجلة الجامعة الإسلامية، مج16، العدد2، 27/08/2007.
- محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان الكتاب، الساق على الساق، مجلة أفكار.
- رزان ابراهيم، فنتازيا السرد في رواية (سيرة المنتهى)، بوابة الأهرام، 25-03-2016.
- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة و أنواعها الأدبية، جامعة بانجاب، العدد23، 2016.
- محمد الباردي عندما تتكلم الذات، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2006-2012.

الملتقيات:

- محاورات رزان ابراهيم، نرجسية الأنا و حرية التعبير، جامعة البتراء، الأردن.
- محاورات أمل الفيتامي، ملتقى الإثنينية، أسئلة الجمهور، السعودية.

الرسائل الجامعية:

- سمراء جبايلي، الصوت السنوي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، رواية السيرة الذاتية لمليكة مقدم، أنموذجا، معمر حجيج، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015-2016.

- خديجة زعتر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، جبل ابراهيم جبر، أنموذجا، جامعة اللسانية، وهران، 2003-2004.

الكتب المترجمة

1- فيلب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.